



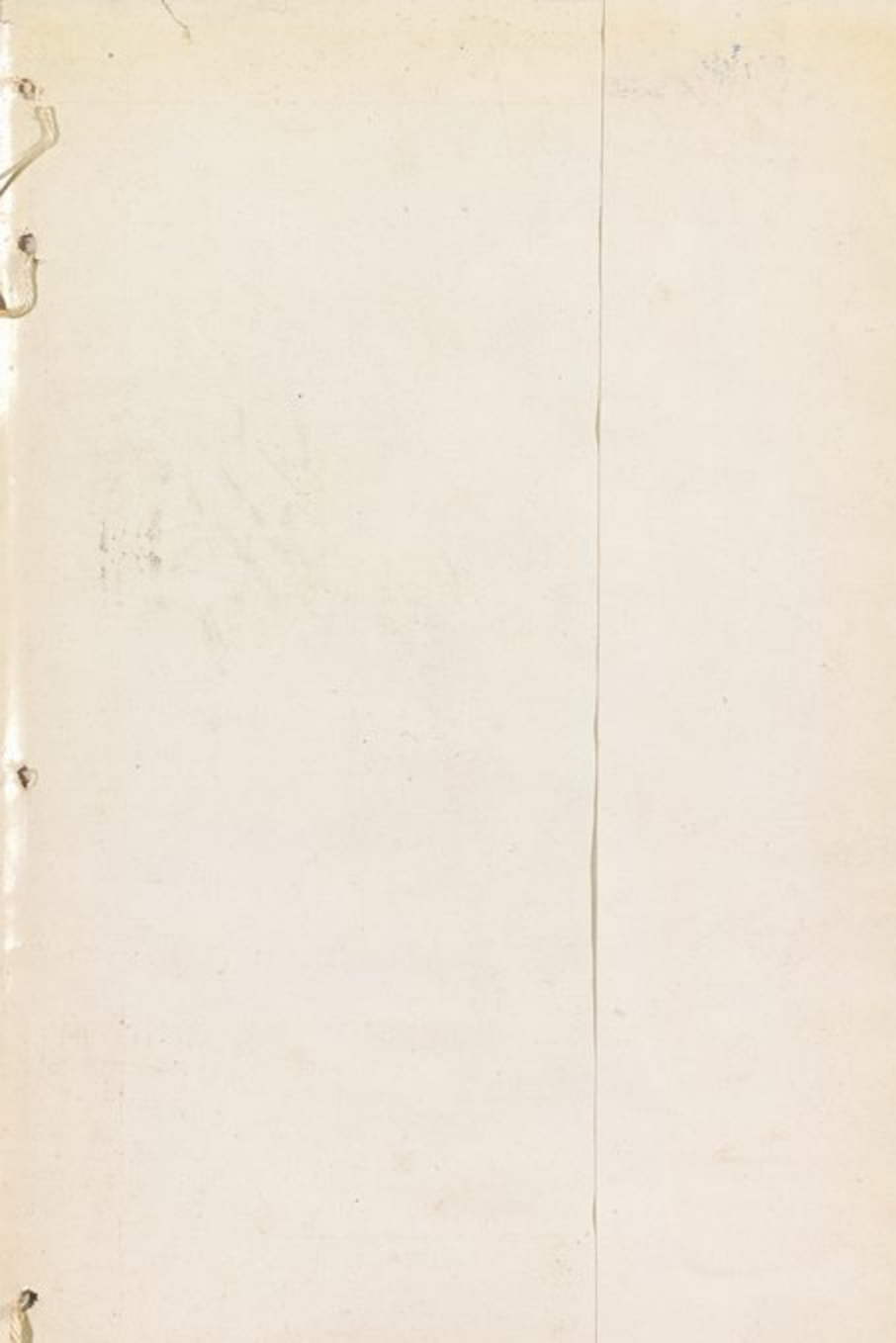


کمال اناتورک

کتاب الشہر



من شرف





أتاتورك

محمد : صبح

ملتزموا الطبع والنشر اصحاب
دار احياء الكتب العربية
عيسى البباني الخليلي وشركاه



مكتبة دار الكتب

Subayh, Muhammad

A. Z. Abushady

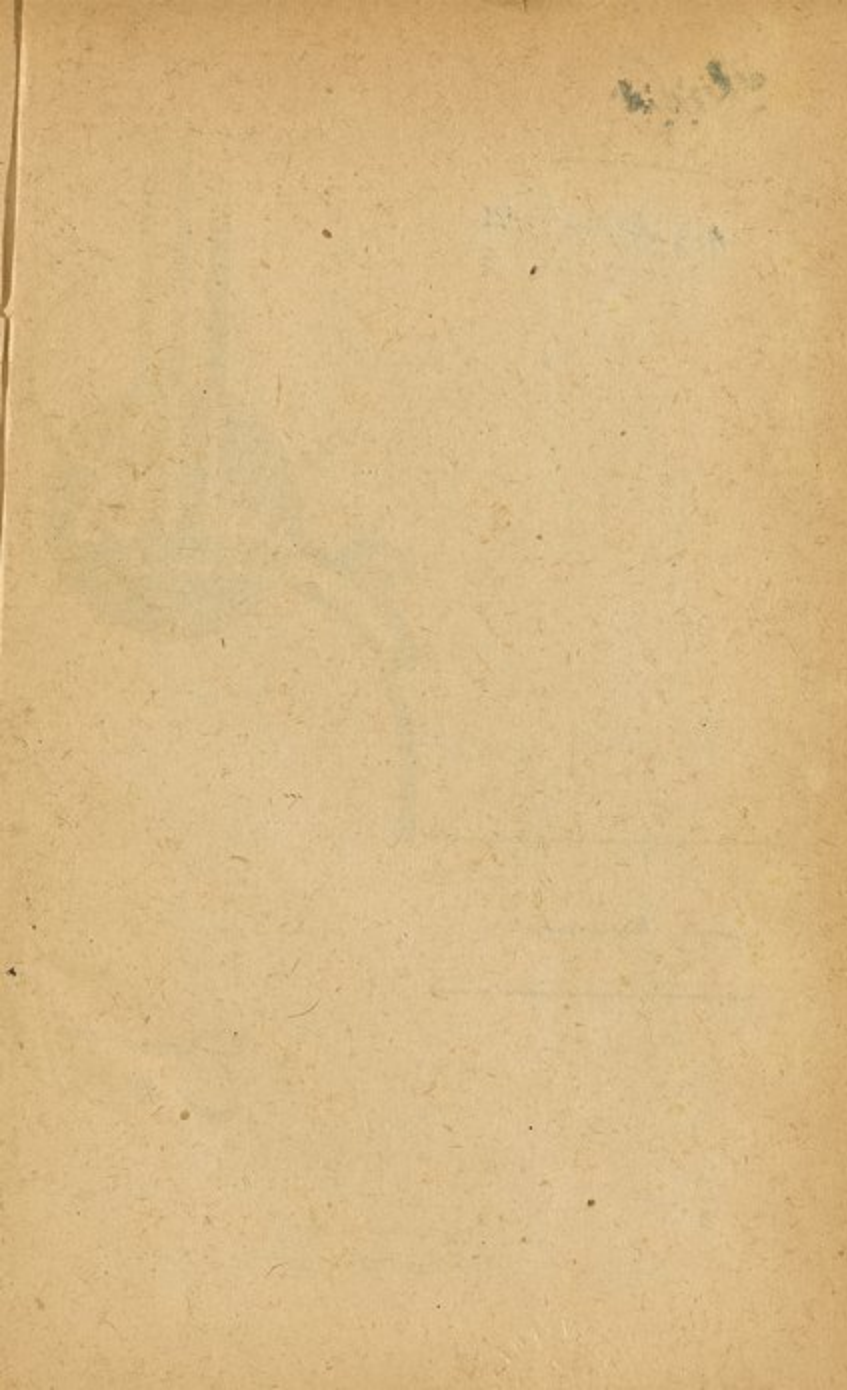
Atatürk



أتاتورك

محمد : صبح

مكتبة دار الكتب والشرائع
دار الكتب المصرية
عيسى البابي الحلبي وشركاه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

- ١ -

65-14

منذ خمسة أعوام وشهور ، كانت المفوضية التركية بالقاهرة تحتفل بعيد الجمهورية التركية ، وكان من بين كبار المصريين الذين حضروا الحفل سعادة عبد الرحمن بك عزام وزير مصر السابق في أنقرة ، وقد ألقى كلمة طيبة نيابة عن الحكومة المصرية حيا فيها تركيا ، وعيدها ، وبطل الأتراك . ونشر ملخص الكلمة في الصحف السيارة ، فشارت ثائرة بعض الشبان المصريين المشتغلين بالشئون الدينية ، وراحوا يهاجمون عزام بك مهاجمة عنيفة ، لأنه أشاد بالزعيم التركي ، وهو - في رأيهم - من أهم

- ٣ -

RECAP 2070

129

942

العوامل التي هدمت معالم الإسلام في الشرق الأوسط ، وأشاعت فيه مفسد الغرب !!..

ودعا عزام بك هؤلاء الشبان لمقابلته ، وأخبرهم في لين ورفق أنه لم يقصد أن يعلن على الإسلام حرباً ، ولا أن يعقد مع الفساد حلفاً ، ولكنه أراد أن يحيي أمة ناهضة ، وأن يحيي قائد هذه النهضة ، ولا يمكن أن يفهم من كلمته أنه يدعو إلى ترك أوامر الدين واتباع محرمانه ، بل لقد كان دأبه وهو في تركيا أن يحاج رجالها في كل ما كان يراه مخالفاً للإسلام ، وكان يلقي منهم قبولاً وترحيباً .

وكان عزام بك في حديثه مع هؤلاء الشبان واسع الصدر ، فسمع منهم قولاً غليظاً ، ورد عليهم في اتاه وحلم . وكان أحد زواره يتتبع هذا الحوار ، وهو مسلم محافظ من ذوى الفضل والمكانة ، فدعى لابتداء رأيه فقال : « انه يعتقد أن أعظم رجل خدم الإسلام في العصر الحديث هو كمال أتاتورك . ويرى أن مكانته عند الله ستكون أعلى درجة من كثيرين من المسلمين يطيلون لحاهم ، ويكثرون من الركوع والسجود ، ويرددون الأوراد والإذكار بالليل والنهار » ففغر الشبان أفواههم دهشة ،

وفوجئوا بما لم يكن في حسابهم ، واستأنف الزائر الفاضل حديثه قائلاً :

« حسب مصطفى كمال فضلاً عند الله وعند الناس أنه خلص أمة مسلحة من ذل الاستعباد .. حسب أنه أعتق رقاب ثمانية عشر مليوناً من المسلمين ، كانت العدة قد أعدت لكي يسلكوا في سلاسل الرق والاستعمار . فاصبحوا بفضل جهاده ، وبفضل المخاطر المهلكة التي تعرض لها هو وأصحابه ، سادة أحراراً ، يحيون حياتهم كما يريدون ، لا كما يريد لهم عدو يتسلط عليهم »

وصواب هذا الذي ذكره الزائر في حوارهِ مع المتحمسين الثرمتين ، وهو يمثل حقيقة أنشطتها النظرة القصيرة ، والحساب المرتجل الذي يسمح بأعمال حسنة عظيمة القيمة ، والتمسك بهفوات صغيرة تأبى عجلة الحياة الدوارة أن تقف عندها أو تكترث لها .

ولقد انقضى حكم أتاتورك ، بانقضاء أيامه في هذه الدنيا . وكنا كتبنا طرفاً من سيرته من سبع سنين . وحسبنا بعض الناس تأثرنا بالضجة التي تصحب كل حي من الحاكمين . ولكننا — وقد سكنت الضجة — لانزال عند رأينا في بطولة هذا الزعيم لم تزد الأيام إلا ثباتاً .

وليس أعدل من النتائج وحكمها ، ولا أصدق من الحقائق
ومنطقها . فلو أن البناء الذي شيده « أبو الترك » في العصر
الحديث ، كان قائما فوق الرمال ، ثم هبت عليه هذه العواصف
والأعاصير التي اجتاحت الدنيا بأسرها في سنوات الحرب الحاضرة ،
إذن لانهار البناء ، ودمر تدميرا . ولكن ماذا نرى ؟ . . نرى
تركيا السكالية حوصرت بالحرب من الشمال والجنوب ، ومن
الشرق والغرب . وزارت الدبابات والمدافع والطائرات والبوارج
على حدودها في الأرض والسما والماء ؛ فعصمتها سياستها الرشيدة
الحكيمة من أن تزل أو تنزلق بها القدم فتهدى في السعير المتقدم .
وما رشد هذه السياسة ، وما حكمتها ، إلا كلمات قالها أتاتورك ،
وحفرها في أذهان قومه ووجدانهم ، وهي أن تعيش بلاده في
في داخل أرضها للترك ، ولكل الترك ، ولا شيء غير الترك . فما
دامت أرضها تنسع لسكانها ولثلاثة اضعافهم ، وما دامت ثروتها
تكفي لاطعامهم فلا داعي للطمع في أرض الغير ، ولا جدوى في
التماس المغام من قريب أو بعيد . ولتعتصم تركيا بالسلم ، ولكن
سلم الكرام الذين يعرفون كيف يمنعون جانبهم ، ويذودون
عن أرضهم إذا اعتدى عليها . .

لهذه الغاية عاش أتاتورك ، وعليها نشأ جيل الساسة الذين

تركهم في الحكم ، وهى هى التى راعاها صفيه وخليفته الرئيس عصمت أينونو . .

ولا يحسن أحد أنه كان من اليسير على أتانورك أن يروض شعبه على هذه الخطوة ، وأن يلزمه بها . فقد عاشت تركيا العثمانية تحت ظل الخلافة أكثر من ٤٠٠ سنة ، ولوأوها ممدود على رقعة فسيحة من الأرض اقتطعت أجزاؤها الكبيرة من أوروبا وآسيا وأفريقيا . عاش الأتراك جيلا بعد جيل وهم يتمتعون بالسيادة على اليونان ، والباينا ، ويوغوسلافيا ، وبلغاريا ، ورومانيا ، وكريت ، وقبرص ، والقوقاز ، والعراق ، والشام ، وفلسطين والحجاز ، ونجد ، واليمن ، وامارات الخليج الفارسي ، ومصر والسودان ، وبرقه ، وطرابلس ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش الخ . . وأخذت هذه الامبراطورية العظيمة تتضاءل وتتقلص . ومع هذا شهد القرن الحالى سيادة الترك على أجزاء عظيمة منها . والجيل الذى عاش فيه مصطفى كمال ومدرسته ، كان يرى رايات العثمانيين ترتفع على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط ، والبحر الأحمر كله ، والخليج الفارسي . ثم رأى أوروبا تنازعهم السلطان على هذه الأجزاء كلها . رأوا مصر تنسلخ عمليا ، ورأوا طرابلس

تهوى بدورها ، وكان البلقان يغلى ثم تفجرت مراجله بالثورات
المتلاحقة . وجاء دور الحجاز واليمن وبلاد الشام . وكان أنور
ومصطفى كمال ، وجمال ، و نيازى يلهثون ركضا من طرابلس إلى جهة
البلغار ، إلى سوريا والحجاز ، إلى القوقاز عسى أن يتمكنوا من
سد هذه الفتوق ، ولكن الاعياء نالهم ، وسقطوا خائرى القوى
ورأوا أحلام الجامعة الطورانية تتضاءل وتضيع هباء فى الهواء .
وزاد الخطب استفحالا ، فقد أريد للمغلوب أن يتجرع
الكأس حتى الثمالة ، فانتشرت جنود الحلفاء بعد الحرب الماضية
على سواحل تركيا نفسها تطبق معاهدة الصلح ، وإذا اليونانيون
فى أزمير يضربون فى الأناضول ، والاستانة فى يد الانجليز
والفرنسيين .. وبدأت حركة الاستقلال ، فلما ظفر فيها أتاتورك
وجنوده ، لم يستخفهم النصر ، أو بالقليل لم يستخف قائد
الاستقلال ، لى يحاول إعادة الامبراطورية القديمة ، بل جلس
وراء الحدود ، وراح يفكر ويقدر ..

سأل نفسه عما استفادت تركيا من حكمها الطويل لهذه
الامبراطورية العظيمة ؟ ! لقد ظلت جنود آل عثمان تضرب فى
أحشاء أوربا الوسطى ، وتحصد عداوات الشعوب قرنا بعد قرن

وتحتمل من التضحيات ما لا سبيل إلى حصره ، ومع هذا لم تستطع أن تجعل من البلغار تركا خلصا ، ولا من الأفلاق والبغدان أولياء صالحين ، ولا من البوسنة والمهرسك أعوانا طيبين ، ولا من الاغريق حتى مسلمين !!

لا .. لم يفد الأتراك من امبراطوريتهم غير العناء ، وغير الدمار ، وما كان يصلح مقياسا للعظمة في القرون الوسطى ، لا يصح أن يظل كما هو في العصر الحديث .. انما آية الحياة الصحيحة السعيدة لشعب من الشعوب أن يعيش مستقلا في أرضه لا يبغي عليه أحد ، ولا يبغي هو على أحد ، وأن يتمتع أفراداه بالرخاء المادى والمعنوى ... ورقة الأرض التركية ليست ضيقة ولا هى بالضئيلة على أهلها بالخير . فمساحتها (٢٠٠ ر ٧٦٠ ك . م مربع) تزيد على مساحة المانيا ، بل تعادل مساحة المانيا وايطاليا معا . وتزيد على مساحة انجلترا خمس مرات . وتوجد في الدنيا بلاد مثل الدانمرك وسويسرا ، لا تستعمر ، ولا تعيش على الفتح والغلب ، وهى لا تتجاوز في مساحتها ركننا صغيرا من أركان تركيا ومع هذا تعيش عيشة رخية كريمة ...

وإذن فلتعيش تركيا في تركيا ، ولتركيا . وعفاء على

الامبراطورية ، وعلى آل عثمان (١) وعلى شعارهم في الحياة



ولقد حاول المعلقون على الحرب الحاضرة من رواد القهاوى ، واجلاس النوادي ، أن يتكهنوا — في كل أزمة من الأزمات — وأن يميلوا بتركيا وجندها إلى هذا الميدان أو ذاك . يمنون تركيا بالأمانى . فلو أنها حاربت مع المحور ، فستعود إليها البلقان والقوقاز وتصبح سيدة البحر الأسود !!

ولو أنها حاربت المحور فسيكون من نصيبها الشرق العربى أو بالقليل بلاد الشام !! وما صدق هؤلاء . لأنهم جهلوا أو تجاهلوا السطر الأول فى كتاب السياسة الخارجية لمدرسة ألتاتورك التى حكمت تركيا ، وما تزال تحكمها .

(١) كانت تركيا العثمانية تؤدى للعالم الاسلامى خدمة جليلة ، فقد ظلت خمسة قرون تتولى الدفاع عنه فى الخط الأمامى ضد الغارات الأوربية — التى تشبه الغارات الصليبية القديمة — وكان هذا الخط يمتد من شمال القوقاز على سواحل البحر الاسود ثم يدور نصف دائرة عظيمة حتى يكمله شاطئ البحر الادرياتيكي الشرقى . ولولم تكن جند العثمانيين واقفة فى هذا الخط وقفة صلبة عنيدة ، لاجتاحت جنود أوروبا الوسطى الشرق الأوسط كله ، ولحققت أحلام ريتشارد ولويس ، ولاحتاج الشرق الأوسط إلى « صلاح الدين » مرة أخرى ليرد هذه الغارة .

وهذه السياسة الواضحة المعالم ، التي عصمت هذه البلاد من
اخطاء واخطار لاشك فيها هي التي تحملنا على أن نرفض الدلالة
الغربية لما صرح به « ستالين » ، من أن القطار فان تركيا ،
ولم تستطع اللحاق به ، تعليقا منه على قطع علاقاتها مع المحور .
فلو أن تركيا كانت تريد أن تركب قطارا ، لما عز عليها ذلك ،
وكان جند هتلر يقفون على حدودها ، وكان « فون باين » في
عاصمتها يمنيها بطيب الأمانى ان شاركت المحور في حربه . ولكنها
رفضت إلا أن تظل ساهرة على هذه الحدود تحرسها من الجميع .
ومن يدري ؟ ولو أن تركيا فتحت ذراعيها لفرق البانزر ، ونقلتهم
عبر أرضها إلى جبال طوروس ، اذن لمال ميزان الحرب ، ولضغط
الشرق الأوسط بين هذه القوة ، وبين قوات روميل في الصحراء
الافريقية ، ضغطا قد لا يثبت له ، وقد يغير مجرى الحرب تماما .
ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، وبلاد الشرق العربي تعرف هذا
لتركيا ، بل تعرفه لهذه الخطة السلمية القوية التي رسمها أبو الترك
وقائد نهضهم الأول .

لم يفت تركيا قطار ، لسبب واضح بسيط ، وهو أنها لم تكن
واقفة باحدى المحطات تنتظر قطارا ..

وكل ما كانت تريده تركيا ، وما تزال ، هو أن تحافظ على
كيانها ، وأن تفهم جيرانها جميعا أن أمنها في أن يسود السلم بلاد
البلقان مرة أخرى ، وأن تتأكد تركيا من أن أحلام روسيا
القديمة في السيطرة على الدردنيل لا تزال أحلاما . وأن من الخير
الالتجاء إلى المعاهدات الحالية ، أو ما يشبهها لكي تتصل روسيا
بحريا بالبحار « الدافئة » . هذه هي المشكلة الوحيدة التي تجابه
الترك الآن . وعسى ألا تنسى الروس انتصاراتهم الكبيرة أن تركيا
ليست وحدها التي تريد المحافظة على معاهدات المضائق ، ولكن
بلاد الشرق الأوسط ، والدول الديمقراطية التي تشعبت مصالحها
في هذه الاصقاع ترى في سيطرة الروس على المضائق خطرا جسيما .
وتركيا واجدة من غير شك أنصارا ذوي حمية وحماسة في وقفها
وهي تحرس طريق المضائق من أى عدوان . ذلك أننا هنا في
هذا الركن من الدنيا لا نريد تجارب جديدة لحياتنا ، وحسبنا
ما نحن فيه من متاعب . ولم يخدع أحد في طبيعة الحرب الروسية
الأوربية ، فيحسب أنها من صنع مذهب الشيوعية .. لا ، وإنما
سارت هذه الحرب بهذا النجاح العجيب لأن وراءها رجالا قادرين ،
على رأسهم ستالين ، الذى وصفه تشرشل بحق أنه : ستالين العظيم
Stalin the Great ووقع هذه التسمية فى الأذن يشبه وقع اسم

« اسكندر الأكبر » ، « وبطرس الأكبر » ، وغيرها من كبار
الغزاة ، لا كبار الهداة ..

نحن نريد أن نعيش حياتنا كما نريدها ، ونريد أن نتطور
بها ونعلو على طراز نختاره نحن ، ولا يفرض علينا فرضا . وفي
هذه التجارب الأليمة التي تعانيها اليونان وبلغاريا ويوجسلافيا
وايطاليا وبلجيكا ما يقنعنا بأن نحترس . وما يفتح أعيننا جيدا
على طريق « البحار الدافئة » الذي تقف من دونه تركيا
واقفة قوية .

ومع هذا فليس لدينا أى دليل يشير إلى قرب وقوع أزمة في
تلك البقعة الشائكة من الأرض . ولم يبد حتى الآن من ساسة
الروس ما يبعث على الخوف . ولكن الحذر خير وأجدى .
وذكريات الماضي ما تزال ماثلة في الأذهان .

حقيقة ان لينين عاون الثورة الكمالية معاونة صادقة ،
وكان لموقفه تأثير حسن في الانتصارات الحاسمة التي ظفرت بها
جيوش التحرير التركية . ولكن روسيا لينين التي كانت منذ
ربع قرن ، غير روسيا ستالين التي نشهدها اليوم .

هذا وجه من أوجه الخلاف بين تركيا الكمالية ، و تركيا العثمانية^(١) . وهو أن النزعة الامبراطورية ، أو النزعة الطورانية ، أو أى نزعة أخرى تدفع إلى الحرب للظفر بمغانمها ، قد تغيرت الآن . وأصبح الشعب التركى حريصا على أمنه ، وعلى سلمه فى داخل حدوده . ومن الغريب أن الذى رسم هذه السياسة ، هو جندى تركيا الأول ... هو رجل من رجال الحرب ، وبطل من أبطال الميدان . وكان خليقا أن تكون سياسة الغزو هى سياسته ، ولا سيما أن قومه سموه الغازى بعد انتصاراته المدوية . ولكنه كان صاحب عقلية كبيرة ، ونفس ملهمة بصيرة . بل لقد حدث منه ما يخالف الفكرة الشائعة عن رجال الحرب عادة . فبعد أن تغلب على اليونان ، وهزم جندها فى حربها الاستقلالية ، وأسر قوادهم ورجلهم ، رفض فى معاهدة الصلح أن يفرض عليهم مغارم ، أو قيودا مالية من النوع الذى تتضمنه كل معاهدة صلح يملئها

(١) دخل السلطان محمد الفاتح القسطنطينية عام ١٣٥٤ . وبويع السلطان سليم بالخلافة عام ١٥١٧ . وخرج السلطان عبدالمجيد من تركيا عام ١٩٢٤ وتوفى إلى رحمة الله منذ شهر واحد .

منتصر على غريمه . رفض هذه العقوبات المالية قائلا انها توقع
اليونان في فوضى داخلية ، ونحن نريد أن تعيش جارتنا في رخاء
ينتزع من القلوب الاحقاد ، ولا يفتح للمستقبل أبواب الخصومات
رفض الغازي بعد حرب الاستقلال أن يكون غازيا . بل
طرح هذا اللقب وآثر أن يسمى نفسه : «أبا الترك» ، أنا تورك .
ولم ينجب مصطفى كمال ولدا ، ولكنه كان يحس بعاطفة الأبوة
لأبناء بلاده جميعا ، وضاق ذرعا بالزواج ، وبالحياة البيتية ، لأنه
أراد أن تكون تركيا كلها بيته ، وأن يكون الترك كلهم أسرته .
ثم سار في تنظيم هذا البيت مسرعا متعجلا ، لا يعرف التريث ،
ويرى الزمن أكبر أعدائه جميعا . كان يريد أن يرى - وهو حي -
معظم اصلاحاته تحققت . فكان يحمل الناس حملا ، مشتدا ،
عنيفا ، ظاهر القسوة على كل عقبه ، وكل من يقف في طريقه .
فلما مات كانت جل أمانية قد تحققت ، فقد ترك من بعده شعبا
حيا متصلا بالدينيا أعظم اتصال ، يقظا لحاضره ومستقبله .. كان
هذا الشعب الحى القوى هو أعظم ما ترك أبو الترك . ويلى الشعب
أهمية وقيمة ، هيئة القيادة لهذا الشعب التى خلفها ، وعلى رأسها
عصمت اينونو ، التى تمثلت فيها كل صفات الوطنية والعزيمة
وصدق النظر إلى الحوادث ..

وهل هناك أقوى على مصارعة حوادث الزمن من شعب حى
متناسك يقظ ، ومن قيادة محتكة فطنة لا تعرف الخور ،
ولا تعرف التهور ..

وهذا هو مقياس نجاح الزعيم فى أداء رسالته : شعبه ،
وكيف تركه . وخلفاؤه ، ومن أى معدن هم ؟ ولا قيمة مطلقا
لزعيم ، أو مصلح يرافقه النجاح مادام حيا ، فاذا تولى انهارت من
بعده النظم ، وخارت العزائم . بل ربما كان نجاح الزعيم فى تربية
مدرسة حازمة قديرة أهم بكثير من أن ينجح هو فى حياته . ونحن
نعلم أن المسيح عليه السلام لم يتمكن وهو حى من نشر رسالته .
ولكن الحواريين الذين تركهم قاموا على الأمانة خير قيام .
ولو أن سيدنا محمدا عليه السلام ترك الإسلام من بعده فى أيدي
أضعف من أيدي أبى بكر وعمر وعلى وأبى عبيدة وخالد والمثنى
ومن إليهم لأكلت العرب المرتدة الدعوة والدعاة .

نجح كمال أتانورك حيا ، ونجح ميتا ..

ويحاول المؤرخين والباحثين أن يقارنوا بين الزعماء والأبطال ،
وأن يجدوا لهم الأشباه والنظائر .

فقد شبهوه ببطرس الأكبر ، الذى نقل روسيا من جاهليتها



تمثال « السيادة » الوطنية



إلى حياة المعرفة والتحرر من التقاليد البالية ، ودفعها نحو حضارة الغرب بعنف وقسوة بالغين ..

وهذا صواب ولكنه ليس كل الصواب فلم تكن روسيا مستعبدة بعدو أجنبي وحررها بطرس . أما أتاتورك فقد حرر بلاده من الاستعمار أولا ثم حررها من الجهل .

وشبهوه بيوليوس قيصر المحارب العنيد الذى كانت تهفونفسه إلى التاج ، ولكنه كان يحب قومه أكثر مما أحب تاجهم فلما قتلوه وجدوه قد أوقف كل أملاكه على خدمة أهل روما . وكذلك صنع أتاتورك فقد ترك لقومه كل ملاكه . ولكن فرق ما بين الرجلين بعيد . فقد عرضت الخلافة ؛ وعرضت السلطة على أتاتورك فرفضهما وكان صادقا فى الرفض ، لم يظهر شيئا ، ويبطن فى النفس أشياء ، كما صنع قيصر .

وشبهوه بموسوليني الذى حكم بلاده حكما ديكتاتوريا ، وأدخل فيها إصلاحات كثيرة . ولكن نهاية الفاشية وما آلت إليه تقطع بفساد هذا التشبيه . كما لا يغيب عن الذهن أن أتاتورك سبق بثورته ، وبانتصاراته ، وبمجاحه موسوليني وهتلر ، وهو لم يأخذ من النازية أو الفاشية أى شئ . بل ربما يصح أن يقال ان هؤلاء الحكام أخذوا عنه الكثير .

لا يشبه أتانورك أحدا من كل هؤلاء ، وإن كان فيه من كل عظيم قسم ، وهو هذه الصفات المشتركة في النوابع . وإنما يشبه « أتانورك » عظيما واحدا هو « أتانورك » نفسه .

فظروف تركيا في الداخل والخارج لم تتكرر على النحو الذي كانت فيه إلا مرة واحدة ، ولم يكن لها إلا رجل واحد هو الذي كان لها . وإذا قدر لهذه البلاد أن تنجو من الحرب الدائرة سليمة كما كانت قبل عام ١٩٣٩ ، فستسير عقب الهدنة سيرا حثيثا نحو رقي أصيل ثابت الدعائم . لأنها أفادت في أيام الحرب ثروات كبيرة من المتاجرة التي يسرت لها أكثر مما يسرت لأي أمة أخرى على ظهر الأرض . حدودها كانت تتصل برا بأوروبا المحورية ، وبروسيا السوفياتية ، من الشمال والغرب ، وتتصل من الجنوب بالشرق العربي ، وبدول الديمقراطيات . كما أن كلا الفريقين المتحاربين لم يعنتها في متاجرتها ، بل ربما يسرها أمور الاستيراد بما لم يسرها غيرها .

ففي تركيا الآن ثروات كبيرة تدفقت عليها ، وهي في يد أبنائها الخالص ، لا في يد نزلاء من الأجانب . وتركيا تعرف ما تريد معرفة تامة ، لأنها تسير على برنامج محضر مدروس ، زادته احكاما دروس الحساب الحاضرة . وهذه الثروة ، وحياة الاستقرار ،

ستساعدان على رفع تركيا إلى مستوى عال بين أمم البحر المتوسط ولا سيما بعد أن زالت إيطاليا من الوجود كقوة لها خطرهما . أو على الأصح بعد أن زال الأسطول الإيطالي الذي كان يهدد سكان هذا البحر .

ولا يقابل هذه القوة التركية النامية ، والتي ينتظرها مستقبل أكثر نمواً وازدهاراً ، غير قوة مصر والجامعة العربية الجديدة التي وضع أساسها في بروتوكول الاسكندرية .

وإذا كانت تركيا العثمانية قد أوجدت ألف سبب وسبب للخلاف مع الكتلة العربية ؛ إلا أن تركيا الكمالية ، التي بدلت معالم الماضي كله ، قد أوجدت ألف سبب وسبب للتفاهم مع شعوب الجامعة العربية . وشرق البحر الأبيض المتوسط ، وسلم المستقبل كله يتوقفان ، على وضع سياسة سليمة مشتركة ، تنفذها شعوب هذه المناطق ، وتقرها الدول الكبرى ذات الشأن والمصالح في مسالك الماء والهواء الموجودة شرق خط طول .



وقد ذكرت أن هذه هي المرة الثانية التي أكتب فيها عن تركيا . والحاجة ماسة اليوم إلى إعادة الكتابة وإلى التذكير بالمصالح المشتركة بين الشعبين العربي والتركي . ولم يعد الاعتصام

بالعزلة ، أو التزام الحياد التام من خصائص السياسة الخارجية في هذه الأيام . ولم تعد الحدود السياسية وحدها كافية لأن تفصل شعباً عن شعب بعد أن هزمت « الآلة » المسافات ، وتخطت الأرض إلى السماء . فقد تشابكت المصالح تشابكاً عجيباً ، وستزداد صلات الدول بعضها ببعض تعقيداً كلما تقدم الزمن . وتوجد الآن وستوجد في المستقبل القريب عوامل تجعل بعض الصلات اضطراراً لا مناص منه ولا اختيار فيه .. ومن الخطأ أن نزعم أن الظروف التي تحيط بالدردينيل هي غير الظروف التي تحيط بقنال السويس مثلاً .

ونحن نعلم أن مشا كل البلقان ، ومتاعبه التي لا تنتهى تستغرق من تفكير ساسة تركيا وقتاً كبيراً . ولكن ليس هذا هو كل شيء في سياسة تركيا الخارجية . ومن سنوات قليلة دخلت تركيا في تحالف « سعد اباد » الرباعى بينها وبين العراق وإيران والأفغان . ولكن هذا التحالف لم يفد أحد الشركاء أية فائدة تذكر ، اللهم إلا أن يكون معاهدة حسن جوار بين الشعوب الأربعة .

ونأمل أن يجد على ضوء الظروف الدولية الدولية الجديدة - ما يستدعى أحكام هذه الصلات ، وتوثيق صلة تركيا بالكتلة

العربية ، على نطاق أحكم وأجدى من ميثاق سعد أباد
والوسيلة التي نستطيع أن نخدم بها أهداف المستقبل ، هي
أن نقدم صورة صحيحة صادقة لسفاح الشعب التركي من أجل
حريته ورفعة شأنه ، لكي يطالعها من لم يقف عليها من أبناء
العربية... صورة تدفيء صدورنا بجلال البطولة ، وصلابة الأتراك في
كفاحهم من أجل حقهم

وقد أشرت في كتابي السابق إلى كتابارمسترنج عن أتاتورك
« الذئب الأغبر » ، وذكرت اني قرأته في السجن عام ١٩٣٧
وكان ينتفض بالحياة ، وكان إغراؤه شديداً ، « حتى لقد كنت أؤثر
أن أجلس معه في الفترات التي يسمح فيها للسجونيين بمغادرة غرفهم
(الانفرادية) على أن ألتبس شيئاً من الترويح أو المتعة في الخروج
إلى الفضاء مع الخارجين »

ويهمني أن أشير في هذه الطبعة الجديدة ، إلى كتاب ظهر
قبيل الحرب وهو « ترك وأتاتورك » للأستاذ عزيز بك خانكي
ولا حد للدين الذي يحمله قراء العربية جميعاً لهذا المؤلف الفاضل
الذي يدأب في مشابة وأمانة كبيرتين على التأليف النافع المفيد
المدعم بالأرقام والإحصاءات الكثيرة ، ثم يطبع بحوثه في كتب
جميلة ، ويوزعها مجاناً ، لا ينبغي إلا تثقيف قومه ، ثقافة صحيحة

وهذه روح جديرة بالإكبار ، حقيقة بالثناء . وكتابه عن تركيا
مثل بقية كتبه جزيل النفع ، ويعد من أهم وأحدث المراجع
عن موضوعنا هذا .

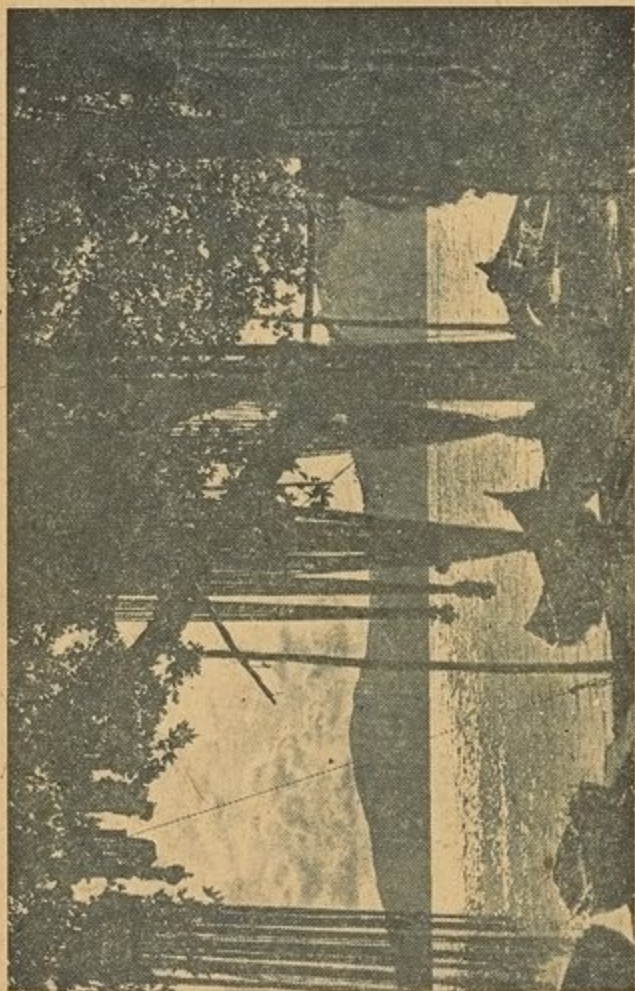


وبعد ، فهذا هو كتابنا الخامس من مجموعة كتب الشهر
الثانية . نرجو أن يحقق الفائدة التي رجوناها من إصداره
وإلى اللقاء في كتاب الشهر القادم إن شاء الله ؟
دار الثقافة العامة في ١٩ - ١ - ١٩٤٥

صبيح



البستور تحت ضوء القمر



تركيا في سطور

■ يقدرّون عدد سكان تركيا حسب آخر إحصاء بعشرين مليون نسمة .

■ كثر تردد الأجانب على تركيا في أثناء هذا الحرب . وقد أربكتهم الطريقة الجديدة في كتابة أسماء الأعلام وغيرها بالحروف اللاتينية . فمثلا :

بالتركية	بالانجليزية	
Kahve	Coffee	قهوة
Jorj	George	جورج
Waytaus	White house	البيت الأبيض
La Jones	La Jeunesse	الشباب
Lozan	Lausanne	لوزان
Otel	Hotel	فندق
Palas	Palace	قصر

وهكذا تخلص الأتراك من مشكلة النطق ، بأن كتبوا الأعلام كما تنطق تماماً .

■ في يونيو سنة ١٩٣٦ ، وافقت الدول في معاهدة مونتره

على أن تحصن تركيا مضايقتها . ولكن أتاتورك ، لم ينتظر هذه المعاهدة لأنه كان قد حصن المضايق فعلا ..

■ حظر السلطان عبد الحميد استعمال التلغراف والكهرباء والجراموفون . كما حذف من القواميس والصحف كلمات الدستور والثورة ، والجمهورية ، والمساواة .. الخ .

■ روى عزيز بك خانكي عن عثمان باشا مرتضى أنه لما بدى باستعمال التلغراف في القاهرة ، أرادت الحكومة تركيب جهاز تلغرافي في المحكمة الشرعية ، فعارض قاضي مصر التركي وقال إن التلغراف من عمل الشيطان . ولم تفلح محاولة إقناع القاضي نظرية التلغراف العالمية . فاضطرت الحكومة بعد حين أن تضع الجهاز التلغرافي على الرغم من معارضة القاضي !

■ بدل أتاتورك يمين الولاء للدستور ، وأصبحت صيغته : « أقسم بشرفي ألا أعمل عملاً يضر بسعادة الأمة ولا بسلامة الوطن ولا يمس سيادة الأمة تلك السيادة المطلقة التي لا يحدها شرط ولا قيد . وأقسم بشرفي أن أكون أميناً ، وفياً لمبادئ الجمهورية »

■ من أوامر أتاتورك ألا يفرج عن مسجون إلا إذا تعلم القراءة والكتابة ، وأن يكون ذلك بالحروف اللاتينية طبعاً

■ ومن تشدده في نشر هذه الحروف أن الموظف الذي لا يتعلمها يفصل من خدمة الحكومة ، ويحرم من الجنسية التركية !!

■ عندما تبلغ المرأة سن ٢٢ يكون لها حق الانتخاب ، ويجوز دخولها المجلس الوطني الكبير إذا بلغت الثلاثين

■ كان لعب الشطرنج ممنوعاً في تركيا العثمانية لأن بعض قطعه كانت على هيئة آدمية ! وكان التصوير محرماً بطبيعة الحال

■ يزيد عدد بيوت الشعب في تركيا على ٢٠٠ وهى نواد تشرف على محو الأمية ، ونشر الثقافة والرياضة ، وتكثر فيها حفلات الموسيقى والمحاضرات والتمثيل والمعارض والرحلات . وبلغت ميزانية هذه البيوت عام ١٩٣٧ مبلغ ٩٦٢ر٠٠٠ جنيها

■ في سنة ١٩١٧ زار مصطفى كمال كارلسباد لكي يعالج نفسه ، وعرض نفسه على الطبيب النمساوى الشهير الدكتور زوكر كاندل ، فقال له الطبيب انه اذا لم يمتنع عن شرب الخمر فسيموت بعد عام واحد . ولم يصغ المريض لنصح الطبيب وعاش ٢٢ سنة بعد هذه الاستشارة وأما الطبيب فقد عاش عامين فقط بعدها !

■ كمال ابن موظف اشتغل بالجمارك ، وكذلك كان أبو هتلر

■ أرادت أم ستالين أن تعلم ابنها ليكون قسيسا ، ففسد حتى أصبح زعيما . وأرادت أم كمال أن تعلمه لكي يكون فقيها في الاسلام ، ففسد بدوره حتى أصبح « أتاتورك » !!

■ ولد ستالين في تفليس ، ولا يزال أهل المدينة - بل أهل جورجيا كلها - يزعمون أن ابن إقليمهم ضم روسيا إليهم . . ولكن أهل سالونيك التي ولد فيها أتاتورك لا يفتخرون به مثل فخر أهل تفليس برجلهم ، لأن سالونيك أصبحت يونانية وانفصلت عن تركيا !

■ من الكلمات العربية التي غيرت في التركية كلمة « الله » . فقد أصبحت « تا كرى » والله أكبر ، تنطق « تا كرى اولودر » ■ أنشأت تركيا الكمالية عدداً كبيراً من المساجد ، ونزعت ملكية المساكن المحيطة بمسجد « يكي جامع » حتى تظهره . وكلفها هذا العمل ثلث مليون جنيه

■ لكي يلغى أتاتورك كلمة القسطنطينية من القاموس الجغرافي للعالم للعالم ، حتى يستقر اسمها التركي « استانبول » ، أخطر مكتب التلغراف الدولي في برن ، أن كل رسالة ترد للمدينة وعليها عنوان غير استانبول ، ترفض .

■ أبطلت تركيا الاضراب ، وجعلت الحكومة حكما في كل خلاف ينشأ .

■ بلغ طول السكك الحديدية التي مدت في عهد كمال أتاتورك ٢٢١٣ كيلو متراً . وكانت السكك الحديدية ملك شركات أجنبية فاشترها منها كلها .

■ في تركيا أكثر من ٣٦٠٠٠ رطل أم يزيد أولادها على ٦ ، وتمنح المكافآت المالية لهذا الفريق من الامهات

■ كان الجنرال الألماني فالكهينين قائدا للجيش التركي ، فأرسل مرة هدية لمصطفى كمال هي ١٢ صندوقا مملوءة بالذهب رغبة في استمالته . فأخذ كمال الصناديق وأرسل بها إيصالا للقائد الألماني ثم تبرع بها للجيش التركي . فكف الألمان عن محاولة استمالته عن طريق الرشوة

■ ذكر الرئيس عصمت اينونو عن واقعة سقاريه الشهيرة - وسيرد حديثها في صلب الكتاب - : ان الفضل في انتصار الترك في واقعة سقاريه يرجع إلى نساء الترك . فهن اللاتي زودن الجيش بالميرة والدخيرة تحت وابل من نار العدو »

■ في سنة ١٩٢١ تحالف كمال مع حكومة موسكو ، وفي نفس

الوقت أمر بمكافحة الشيوعية في كل ركن من أركان بلاده التي له عليها سلطان

■ كانت أول وأصعب المعارك التي خاضها أتاتورك هي معركة الأزياء — أو التريزية وصانعي القبعات !

■ صارت انقرة عاصمة تركيا بدلا من استانبول . وهي مقامة على أرض جرت فيها معركة من أشهر معارك التاريخ بين جيوش تيمورلنك التي بلغ عددها نصف مليون رجل ، وجيوش السلطان بايزيد . وقد هزم بايزيد وأسر في هذه المعركة .

■ تولت السيدة خالدة أديب منصب الوزارة في تركيا

■ تحتفل تركيا كل ٢٩ أكتوبر بعيد جمهوريتها

■ عندما أصدرت تركيا قانون استعمال اللغة التركية ، فرض

على الشركات التي تخالفه عقوبة الغرامة ، وهي ٥٠٠ جنيه في المرة الأولى ، والغلق وتعطيل الأعمال في المرة الثانية .

■ في سنة ١٩٢٤ ألغيت المحاكم الشرعية وأضيف اختصاصها

إلى المحاكم الأهلية

■ أمر أتاتورك باخراج بطريرك الروم الارثوذكس من

استانبول . فاحتج اليونانيون ، لأن بطريركهم كان يتمتع بنفوذ

كبير جدا في المدينة ، يفوق اختصاصاته الدينية . ولكن الحكومة التركية ، لم تبال بهذا الاحتجاج . وكتبت الصحف تقول إن الذين أخرجوا خليفة المساميين من بلادهم لا يجنبون عن اخراج بطريرك الأروام . وكان ذلك في أوائل سنة ١٩٢٥ .

■ كان عدد تلاميذ مدرسة الفيرير في قاضي كوي ١١٠٠ تلميذا . فلما صدر قانون وضع المدارس الأهلية تحت اشراف الحكومة هبط عدد التلاميذ إلى الثلث . فأغلق الرهبان هذه المدرسة

■ صادرت الحكومة التركية أطيان الدوائر الزراعية الكبيرة ووزعتها على صغار الملاك والمزارعين

■ لا يوجد في تركيا غير حزب واحد هو حزب الشعب

■ ألغت تركيا شركات الاحتكار بأن اشترتها الحكومة كلها .

منها شركات السكك الحديدية ، والكهرباء ، والمياه . والتلفون

■ ألقى أتاتورك خطبة في عام ١٩٢٧ أمام أعضاء المجلس

الوطني الكبير استغرق القاؤها ستة أيام . وطبعت الخطبة فكانت في مجلد ضخيم . وقد تضمنت تاريخ الثورة التركية

■ خطب موسرليني مرة فقال إن مجال إيطاليا الحيوى في

آسيا وافريقية . فدعا أتانورك السفير الايطالى فى انقره وقابله
بملابسه المدنية . ثم تركه دقائق وعاد يلبس ملابسه العسكرية .
وقال للسفير قل لرئيس حكومتك إن تركيا كلها تستطيع أن
تلبس ثيابها العسكرية فى بضع دقائق . ولم يسع موسولينى إلا أن
يعتذر ، ويقول إنه لم يكن يقصد تركيا



امبراطورية تتداعى

١

هدأ كل شىء

هدأ كل شىء وسكن كل حى وصمت المدافع ، وأطبقت أفواهها على آخر رجوع من صدى طلقاتها . ولم تكن ترى فى بقاع تلك القارة التى سكنتها الأبالسة والشياطين أربعة أعوام طوال إلا أعمدة من الدخان تتصاعد من حطام « الحضارة » التى دمرها ذكاء المتحضرين ، ولم تكن تسمع فى أكثر أنحاء الدنيا إلا أنين الألم ينبعث من دور التمريض والعلاج التى حمل إليها مئات آلاف الجرحى والمرضى والمشوهين ، وإلا بكاء الأسى تنشج به قلوب الشكلى واليتامى والأيتامى فى كل ركن من أركان العالمين .

كان ذلك فى اعقاب عام ١٩١٨

ولم تخدع أحد أنغام الموسيقىات التى جمعها المنتصرون فى حدائق

فرسائل حيث التقوا لتقسيم الأسلاب والغنائم . فقد اكتوى بنار الحرب الظافر والخاسر ، بل ربما كانت حلاوة النصر في فم أصحابه أبغض من مرارة الهزيمة عند أصحابها . لأن المتألم إذا بكى ، خفف عن نفسه حرّ ما يعانى ، أما المتألم الذى يضطر إلى الضحك فهو الطير الذى يرقص مذبوحا من الألم !

ووضعت سلطنة آل عثمان على مائدة الحساب ، وكان حسابا عسيرا تجلت فيه أطماع أوروبا كلها فى تركية الرجل المريض . وكان أول مراحل الحساب أن ترد السلطنة عن أملاكها ، وتسجن داخل حدودها . ثم انتقل الحساب إلى مرحلة ثانية ، وهى أن يقتص من هذه الحدود نفسها ، وأن تطأها أقدام الاحتلال .. وفى ١٥ مايو سنة ١٩١٩ بدأوا بالتنفيذ .

كان أسطول الأميرال كالثورب الانجليزى راسيا فى ميناء أزمير واستدعى الأميرال حاكم المدينة التركى وقال له فى لهجة حازمة قاطعة :

— صدرت الأوامر بأن ينوب الجيش اليونانى عن الحلفاء فى احتلال أزمير ، وسينزل الجند إليها صباح غد .
فقهر الحاكم التركى فمه ، كما نرى أن يلتقط به كلمات الأميرال التى لم تقو آذانه على سماعها ، واتسعت عيناه ، واستحال لونه إلى

أصفر ، ثم أزرق من شدة الهول . وما أن استجمع أنفاسه الباردة
في أنحاء صدره حتى صاح :

— اليونان . . اليونان ، هم الذين جاءوا لاحتلال أزمير .
فأجاب الأميرال في إيجاز :

— أجل . . هذه هي أوامر حكومتى .

فصمت الحاكم المسكين قليلا ، ليزداد فهما لما سمع . . ثم قال
في كتابة حزينة ، وكأنما أراد أن يطلق آخر سهم في جعبته :
— إذا نزل اليونانيون إلى المدينة ، فلا أستطيع أن أضمن
هدوء الحال .

وكان الأميرال يقدر الحرج الذى يعاينه الحاكم التركى ، ولم
تكن له حيلة فى التخفيف عنه ، لأن الأوامر هي الأوامر . فصاح
قائلا :

— سيحتل اليونانيون المدينة . . أفهمت ؟

فأجاب الحاكم مستعظفا :

— أرجو أن تسمح بأن يسبق عدد قليل من جنودكم هؤلاء
اليونانيون . لا أريد أكثر من ٣٠٠ لى اهدىء من روع
الشعب . ولأستطيع أن أقول للناس إن الحلفاء هم الذين يحتلون
مدينتهم ، لا اليونانيون . وإن وجود هؤلاء الجنود أمر عارض
سيزول قريبا . فأنهى هذه المناقشة التى لا طائل تحتها بقوله :

— هذا مستحيل .

وانصرف الخا كم كسير النفس ، مثقل الفؤاد بهم لا سبيل
إلى وصفه أو تقديره . كانت الدنيا المضيئة في عينيه ظلاما . وكانت
الطيوف والأشباح ترقص من حوله . وشعر كأنما تبدل من تركي
يشعر ويحس ، ويملاً هذه الملابس التي يرتديها ، إلى قزم مشوه
الحلقة ضعيف الحول والطول .

يمكن أن يكون هذا الذي سمعه حقا .

أيأتى اليونانيون ليحتلوا قسما من أعز بلاد تركيا عليها .
اليونان التي ظلت ولاية من أضعف ولايات الأمبراطورية .
اليونان التي عاش شعبها يدين بالولاء للأتراك قرونا بعد قرون هي
التي تسود ، وتنتهى ، وتأمّر في سادتها . . . سادتها إلى الأمس
القريب .

ورنت في اذنه كلمة الأميرال الأخيرة كأنها دوى القنابل :

— هذا مستحيل ؟ !

ارتقى الخا كم على مقعد في غرفته ووضع رأسه بين يديه ، لا يكاد
يحس بهؤلاء النفر من أعوانه الذين اجتمعوا حوله هلعين ، ولا يكاد
هؤلاء النفر يجدون وسيلة يخرجون بها رئيسهم مما هو فيه من
صمت وجمود ، ورجاء صرخ الرجل كأنما به جنة :

« جيوش اليونان . . . ! »

ثم عاد إلى صمته ، وراح كل فرد منهم يفكر ويقدر .
اليونانيون يحتلون بلادنا . أى عار . وأى مذلة . أتبقى أزمير
التي سكنها الاجناد من الفاتحين القدماء ، هي أزمير ، تذهب
شواطئها أمواج المد الأبيضاء ، وتغسل ربوعها أشعة الشمس
الوهاجة ، وهذا القطيع من عبيد الأمس يطئونها بأقدامهم
ويسلطون عليها من ألوان النكال والعذاب ما يسلطه الأسير على
أسره إذا ساد . وما أثمت أزمير في حق نفسها وما امتلك رقبها
فأفحم بحد السيف ، ولكنها ضريبة مخيفة يؤدونها لسبب يحمله
الناس ، وتفهمه السياسة ، وتجزئه الخلافة . !



وهنا نترك الكاتبة الفرنسية مدام جوليس التي زارت تركيا
عقب الحرب الماضية ، وراقبت حركتها الوطنية عن كثب ، لكي
تصف ما حدث في أزمير في يومها ذاك قالت :
بدأ اليونانيون ينزلون إلى البر من المدرعتين افيروف .
وليمونس تحت قيادة الكولونيل « زانيريوت » ، وكانوا يتألفون
من آلاى الافزون ، والآلايين الأربعين والخمسين المشاة .
انتظموا صفوفًا ، وتقدمهم علم يوناني كبير جدًا . وازدحت

على جانبي الطريق الحالى من الأتراك جموع من الاروام يصيحون:
زيتو فنزيلوس (يعيش فنزيلوس) . واستخف الزهو حامل العلم ،
فكان يميل به يمينا ويسارا . وكانت وجهة المحتلين والمتظاهرين
الثكنة العسكرية التركية التى آوى إليها جنود الحامية التركية مع
عدد عظيم من الضباط والشبان القادمين للاقتراع كى يلتحقوا
بفيلق الولاية . وكذلك كانت الثكنة تأوى ضباط الآلاى السادس
والخمين من الحباله وسواهم ، تنفيذاً للأوامر التى صدرت لهم
بالاحتشاد فى هذا المكان تجنباً للمتعاب . وقد أسامت هذه القوة
التركية أسلحتها تنفيذاً للأوامر أيضاً .

وهكذا كنت لا ترى وراء جدران هذه الثكنة غير جموع
من رجال الحرب تكدس بعضها بجانب بعض . تعلو وجوههم
سمات الغضب المكبوت ، والقهر المحتبس فى الصدور . ولم يكن أحد
يدرى لماذا اتخذ اليونانيون هذه الثكنة وجهتهم .

وما هى إلا فترات قصيرة حتى أحرق الجيش المحتل بالبناء ،
ثم دوت طلقة من أحد المتظاهرين ، كانت إيذاناً بحركة فاجعة .
فقد طوق المحتلون الثكنة ، وصوبوا نحوها مدافعهم الرشاشة ،
واطلقوا نيرانهم ، فطارت مصاريع النوافذ الزجاجية ، واكتسى
فناء الثكنة بالجلث التى انتثرت على الأرض . وأخذ الجنود أمام

هذا المنظر الرهيب الفظيع يتزامون نحو المباني لكي يدرأوا بها الموت عن أنفسهم . فوطىء بعضهم بعضا بالاقدام ، وزاد هذا الهلع من عدد الضحايا .

وحاول الأتراك المحاصرون أن يدافعوا عن أنفسهم ، فأخذ أحدهم قطعة قماش ، رفعها ، وسار صائحا في اخوانه كي يتبعوه : ولكن نيران المدافع وحراب البنادق كان أقوى من بسالتهم ، فسقطوا بدورهم صرعى .

وفي خلال هذه الفظائع وصلت أوامر تأذن للضباط والجنود العثمانيين بمغادرة الثكنة إلى الميناء ، حيث تنقلهم المراكب . فانتظم الجميع في صفوف ، وخرجوا وقد حملوا معهم كل اخوانهم الجرحى . وما كادوا يخرجون من الثكنة حتى أحرق بهم الجنود اليونانيون ، ورجال العصابات ، وجموع المتظاهرين . وأخذوا يقذفون على الأتراك أقذع أنواع السباب . وقام جنود الاحتلال بدورهم . فكانوا يصيبون الأتراك بمؤخرة البنادق ، وبأسنة الخنجر ، ووضعوا أيديهم في جيوبهم ، ونهبوا كل ما كان معهم . وكان أجمع ما في هذا المنظر تمزيق ثياب الأتراك واختطاف طرايدشهم ، ووطئها بالاقدام .

وهكذا أخلت حامية أزمير المدينة ، لكي تسامها للمحتلين

غير الفاتحين . وبقى القتلى والجرحى مطروحين في الطرقات ،
وكانت طلقات الرصاص تتوالى على الأحياء من الجرحى الذين
يلفظون انفسهم الأخيرة من الباخرة بتريس ، ومن النساء
اليونانية ، ومن مصرف الاناضول اليونانى .

انتهى دور الجنود . وجاء دور الأهالى . وبدأت حوادث
السلب والقتل وتلم الأعراض . ثم جاوزت أزمير إلى بقية قرى
الولاية وبلدانها الصغيرة . وأمام هذا البلاء النازل لم يسع أهل القرى
إلا أن يدافعوا عن انفسهم ، وألا يصغوا إلى أقوال البعثة السلطانية
التي اقبلت لتهدىء من روعهم وتؤكد لهم ان الاحتلال مؤقت .
وهكذا عم الاضطراب ولاية ايديا كلها التي يقرب سكانها العثمانيون
من مليونين .



دار السعادة

كان الفصل ربيعاً ، وأضواء الفجر توشك أن تعمر ما آذن
العاصمة العظيمة . وقبل أن يرتفع صوت المؤذن ، سمع صوت
آخر ، لا يبعث في النفس الراحة ، ولكن يقفز بها فوق موج
الفرع .. كان صوت الرصاص وهو ينز ، فيصك الآذان صكا ..
ترى ماذا دهاك يا غر المدائن ، وعروس المضائق ؟ ولم يطل
ترقب السائلين فقد ذاع النبا في كل مكان .. ذاع أن جنود الحلفاء
بدأوا يحتلون عاصمة آل عثمان ، وأن وزارة الحربية والبحرية
كانت أول محطة لنزولهم . ثم تبعها وزارة المواصلات لقطع كل صلة
بين استانبول وباقي البلاد .

وما لبثت الأحكام العرفية أن أعلنت ، فبدلت ربيع هذا
اليوم [٢٦ مارس سنة ١٩٢٠] ، بما يشبه عواصف الشتاء
وبمقتضى قانون الأحكام العرفية صدر قرار بالقبض على

أعضاء مجلس «البعوثان» أو مجلس النواب التركي ، وكان مجتمعا
لدرس الموقف .

وقصت مدام جوليس قصة الأستانة ؛ فقد شهدتها أيضا ..
قالت :

كان ينساب بين هذا الجمهور العظيم في الاستانة ، أفراد
يتنسمون الأخبار ، ويستطلعون الحقائق من فدائي العثمانيين ،
ولا يلبثون بعد أن يحصلوا على ما يريدون من تفاصيل الأنباء أن
يغيبوا عن الأبصار ، لابسين ثوب الخفاء ، إلى بلدان الأناضول ،
ناقلين ما رأوه من شعور ، ومن أسى ومصائب متعددة ؛ جاعلين
من موادها عوامل محرّكة ، موقظين الهمم ، مضرمين جذوة النار
في النفوس الهادئة التي لا تلبث بعد أن يصل إليها هذا الكلام أن
تنقلب إلى سعي متأجج

فلا تكاد تمر بهؤلاء الرواد إلا بضع ساعات حتى يصلوا إلى
الأناضول ، وفي بضعة أيام يصلون إلى قونية ، ومنها ينتقلون إلى
أنقرة فسيواس . ثم يأخذون في الرحيل إلى جهات سحيقة ليست
محدودة في برنامج أسفارهم ، وما يلبث أهل هذه الأصقاع - بعد
سماعهم ما ينقل إليهم من فاجع الأنباء - أن يستحيلوا إلى غور
متوثة ، وسباع غاضبة .

وبعد عدة أسابيع يكون هؤلاء الفدائيون جوابو الآفاق قد
اخترقوا السهول والوهاد والجبال ، وانسابوا إلى بلاد الاسلام في
قارتي آسيا وافريقيا التي كانت تربطهم فيها الآلام والكوارث
برابطة الاتحاد المقدس .

وكان بين جيوش هؤلاء الداعين إلى الاتحاد والناشرين أنباء
الفظائع والأهوال أناس يتزبون بأزياء الفاقة والبؤساء ، وهم من
خير من أنجبت الأمة العثمانية ، بل العالم الاسلامي ، تفكيراً وعلماً
وقوة ارادة وشدة مراس .»



ولكى نقف على عوامل هذه النكبة التي حلت بدار السعادة
وبقية البلاد التركية يجب أن نعود إلى الوراء قليلاً ..
ففي سنة ١٨٦٧ تولى عبدالحميد الثاني عرش السلطنة العثمانية ،
وظل سيد البلاد ، أربعين سنة وسنة . وقد توالى على السلطنة
في عهده نكبات يرجع بعض المؤرخين معظمها إلى سوء تديره .
ولكن من الممكن أن تنسب لعبد الحميد سيئات كثيرة إلا أن
ينسب له سوء التدبير . فقد كانت له غاية واضحة عمل لها ، وهي
أن يحكم البلاد حكماً حازماً قوياً ، وأن يرد عنها الأعداء القادمين
من الخارج ، والفتن الثائرة في الداخل . وطراز حكم كهذا ،

يحتاج إلى رقابة شديدة تفرض على الأفراد والجماعات . وقد برع عبد الحميد في إيجاد نظام للجاسوسية امتدت أطرافه إلى أقصى مكان في امبراطوريته ، حتى لقد ذكروا أنه ما من ثلاثة تكلموا معا في أمر من الأمور ، إلا كان أحدهم عينا ، واذا لعبد الحميد.. ولأمر ما سموه « الثعلب الأحمر » .

ولقد حاول السلطان أن يغلق على بلاده جميع الأبواب التي تصلها بمظاهر الرقي والتقدم الأوربي ، ولا سيما ما اتصل منها بالحكم وأنظمته . فهو يعلم أن هذه الآراء الحديثة التي شملت أوربا كلها تقريبا ، ستصل حتما إلى شعبه فتنبه حواسه ، وتأجج حماسه ، وتطمعه في التطلع إلى نظام حكم يشترك فيه الشعب الفقير المحطم مع السادة الذين يسوسون الأمر . ونجح عبد الحميد في أوائل حكمه الطويل . ولكنه لم يستطع أن يحمل دورة الزمن على أن تقف وان كانت قد أبطأت قليلا ، ومع هذا كانت تدور ، وكان مقدرا لها أن تصل إلى غايتها ..

بنى عبد الحميد قصر يلدر ، أو على الأصح ضاحية يلدر ، لأنه لم يكن بناء واحدا [مثل الكرملين في روسيا] بل مباني عدة ، أقام فيها هو ، وحاشيته ، وضباطه وحرسه ، وخدمه . ووفر لهذا الحشد العظيم أسباب الحياة ، كما منعهم بقدر طاقته من الاتصال

بخارج هذا القصر حتى لا يتعرضوا لجرائم المدينة الخطرة ، ولا سيما
ما تعلق منها بالحكم ونظامه . وحسبنا أن نذكر أن طبأخي يلهم
زادوا عن ٨٠٠ طبأخي لكي تأخذ صورة عن عدد الذين كانوا
يعيشون حول عبد الحميد

وسجن السلطان نفسه في هذا البناء الفخم مختاراً ، وانكب
على عمله الشاق المضى . حتى لقد أكد أكثر من اتصلوا به عن
كتب من السفراء الأجانب أنه كان أكثر حكام التاريخ جلداً
وصبراً . كانت تحمل إليه آلاف التقارير من عماله وجواسيسه ،
فما أهمل الاطلاع على ملخص من ملخصاتها ولا توائى فى اصدار
الأوامر ، ولا فى لفت نظر أعوانه إلى أساليب العمل وطرائقه .
حدث مرة أن جاء نبأ إلى الصحف عن « اغتيال » الامبراطورة
اليزابث فى جنيف وعن تفصيل « استياء » الدوائر السياسية
الأوربية من هذا الحادث . فأمرت المراقبة بأن ينشر الخبر هكذا
دون زيادة أو تعليق :

« توفيت الامبراطورة اليزابث فى جنيف »

وهكذا حذفت كلتى « اغتيال » ، و « استياء » من النبأ .
ومن الأوامر الغربية التى طبقت فى ذلك العهد ، أنهم رفضوا
ادخال نظام المواصلات التلفونية فى البلاد خشية أن يكون سبباً فى

زيادة اتصال الناس بعضهم ببعض ، اتصال قد تخفى تفاصيله على
الرفقاء ، وعندها يوجد المجال للمؤامرات كي تبيض ، وتفرخ
وقد ابتلع نظام الجاسوسية قسما كبيرا من ايرادات الدولة .
ولم يكن كثير من هؤلاء الجواسيس موفقا في الحصول على أنباء
ذات بال . فكان بعضهم يضطر إلى اختلاق الأنباء احتفاظا بمركزه
وكان عبد الحميد يعلم هذا ، ولكنه كان يقول . « لا بأس في أن
يسرقوا أموالى ماداموا فى خدمتى ، وما دمت أثق بهم »

وعلى الرغم من كل هذا الاحتياط كان الشبان الأتراك الذين
تشبعوا بمبادئ الديمقراطية الحديثة ، والذين تألف منهم حزب
تركيا الفتاة ، لا يتوانون عن تعكير صفو السلطان الطاغية . فكثيرا
ما كان يستيقظ فى الصباح الباكر ، فيعلم أول ما يعلم ، أن نشرات
مطبوعة وزعت على الناس ، وألصقت على مباني يلذر نفسه ،
وفىها حض على الثورة ، ودعوة للسلطان إلى اعتزال العرش وإلا
تعرض للاغتيال .

وكان السلطان فعلا عرضة للاغتيال فى كل وقت . فقد أقيمت
عليه القنابل أكثر من مرة ، ولكنه كان ينجو منها .
وزاد فى همومه ووساوسه ، ما كان يعلم من انحياز كثير من
كبار رجال الدولة إلى فريق الساخطين المطالبين بالإصلاح .

ومضت على عبد الحميد ٣٠ سنة وهو يقاوم ، ويجاهد ويجالد ،
حتى انتهى بالسلطنة وبنظام الحكم إلى ما سنعم بعد حين . وانتهى
بالسلطان في السنوات العشر الأخيرة من حكمه إلى أن يتبدل
احتياطه خوفا ، وحذره هلعاً ورعباً ، وما أكثر ما كان يرتاب في
زواره ويهم باطلاق الرصاص عليهم بنفسه لأدنى حركة تريسه
أو تزعجه . وحدث مرة أن كان أحد القواد ينحني ثلاثاً وهو
يحييه ، فتعثر في سيفه ، وحسب السلطان أنه يهم باغتياله ، فأخرج
من فوره مسدسه الذي لا يفارقه ، وأطلقه على القائد ، فلأصابه
بجراح يسيرة !



النَّائِرُ الصَّغِيرُ

ولكى نقدم صورة واضحة تبين نوع الحياة التى عاشتها تركيا فى ظل عبد الحميد ، سنختار « تركيا » من بين رعايا السلطان ندرس حياته ، ونرى على أضواءها التاريخ السريع للشعب كله .
ومن الخير أن يكون هذا « التركى » الذى اخترناه هو « مصطفى كمال » ، فقد قدر له أن يتدرج من نائر صغير إلى نائر عظيم ، إلى حاكم جبار ، تتجلى فى شخصيته المزايا الأصيلة لجنسه ، وللبيئة التى عاش فيها .

ولد مصطفى كمال عام ١٨٨١ فى سالونيك . وهى مدينة إغريقية قديمة ، ويظهر أن عدداً غير قليل من حكام العالم وطغاته المعروفين نشأوا فى أقاليم غير التى اشتهروا فيها وتسيطروا عليها .
فقد كانت أسرة هتلر تقيم فى قرية نمسوية تقع قرب الحدود التشكية وفيها ولد هتلر .

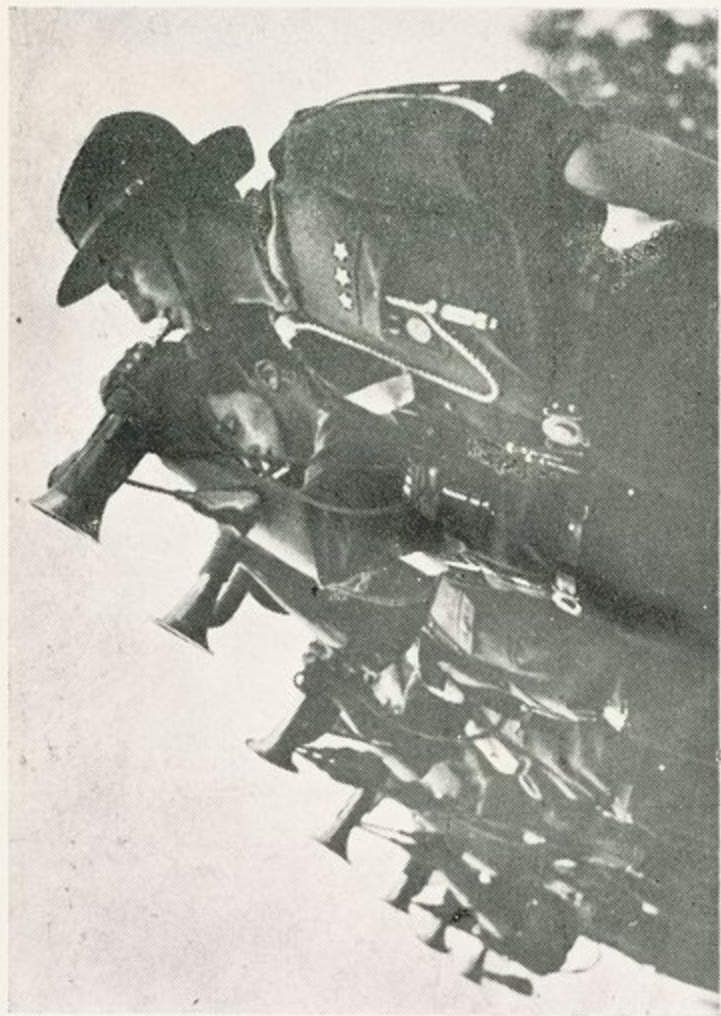
والمعروف أن جوزيف بلسودسكى أكبر منشىء للدولة
البولندية الحديثة من أصل لتوانى

وولد ستالين فى إقليم جورجيا . وهو ليس إقليما روسيا صمما
أما ديفاليرا حاكم إيرلندا فقد ولد فى نيويورك .
كان أبو مصطفى كمال - واسمه على رضا - رجلا من الطبقة
دون المتوسطة ، يعمل موظفا صغيراً فى الجمارك ، ولكن أمه
السيدة زبيدة فكانت أعلى مستوى ، وكان لها أعظم الفضل فى
تكوين شخصية ابنها وإظهار مزاياه .

ويذكر جون جنتر فى بحثه الموجز عن مصطفى كمال « ان
على رضا والد مصطفى من أصل ألبانى . وان زبيدة أمه بنت فلاح
تركى أنجب ابنته من زوجة مقدونية . وبذا يكون كمال من
أصل تشوب تركيته الصميمة بعض الشوائب . ويرغم توينبى فى
كتابه - العظماء المعاصرون - أن دماء يهودياً يجرى فى عروق
الأسرة الكمالية . فقد كانت سالونيك مهبط اليهود أيام محنتهم .
وقد درأوا عقائدهم باعتناق الإسلام . ولكن طبائع مصطفى كمال
ولون عينيه ، وتكوينه الجسمى ينأى به عن أن يكون متأثراً
بدماء يهودية »

وقد تعود الباحثون أن يلتمسوا بعض الغرائب فى سير العظماء

نداء المشابب التركي



ولا سيما في أصولهم البعيدة . وما أكثر ما ذكروا انتساب روزفلت
وتشرشل وغيرهما لليهودية . . . ولكن كل هذه ظنون لا تثبت
للقدر الدقيق . ولو أن مصطفى كمال مقدوني الأصل ، أو يهودي
الدماء ، لما كان أعظم تأثير في تركيا ، ولما تأججت حماسه للشعب
التركي حتى أشعلت من حوله هذا الضياء الوهاج الذي نقل بلاده
من حال إلى حال . . .

وقد أحصى نفس المصدر سبع تعديلات أدخلها مصطفى كمال
على اسمه .

فقد ولد وأسماء أبواه « مصطفى » . فلما دخل المدرسة عدل
اسمه الى « مصطفى كمال » لأن مدرسا في المدرسة كان يحمل
اسمه الأول ، وحتى لا يلتبس الاسمان على سامع أو مناد ، أدخلت
هذه الإضافة على اسم الصغير . فلما شب وكبر حمل لقب الباشوية
فأصبح « مصطفى كمال باشا » . ولما نجح في طرد اليونانيين من
بلاده عام ١٩٢١ لقبه قومه « بالغازي » فأصبح « مصطفى كمال
باشا » . ثم عاد الى اسم « الغازي مصطفى كمال » عند ما صدر
قانون إلغاء الألقاب عام ١٩٣١ ، وبعد ثلاث سنوات حدثت
عاصفة تغيير الأسماء جملة في تركيا ، فأصبح اسمه « أتاتورك »

ولكنه عاد فأضاف اسمه إلى كال ، فأنهى إلى أن يكون « كال
أتاتورك » .

ولم يكن كال أتاتورك وحده ، هو الذى أدرك التبديل الكثير
اسمه . فقد كان الاسم الأول لستالين « يوسف فيزار يونوفيتش »
ثم أطلق عليه لينين اسمه الحالى ، ومعناه الصلب . وكان اسم
هتلر « هيدلر » ، ثم عدل . ولا يزال بعض أقارب يطلقون عليه
اسمه القديم .

وستالين أكبر هؤلاء الحكام سناً فقد ولد عام ١٨٧٩ .
وولد أتاتورك بعده بعامين ، وكذلك ولد فرانكو فى نفس السنة
أو بعدها بقليل . وولد دي فاليرا عام ١٨٨٢ ، وولد موسوليني عام
١٨٨٣ . وولد هتلر عام ١٨٨٩ . وأما تشرشل فهو أكبرهم جميعاً
سناً إذ ولد عام ١٨٧٥ ، فهو يبلغ السبعين من عمره الآن .
ونعود من هذا الاستطراد إلى قص سيرة فتانا الصغير . .

نقل الكاتب الألمانى داجوبرت فون ليكوش عن مذكرات
أتاتورك ما يأتى :

« أتذكر حادثاً واحداً من حوادث طفولتى الأولى . ولكنه
لن يغيب عن ذاكرتى . فقد انطبع فيها ، وترك أثراً لا يمحو ولا
يندثر لأنه يتصل بأول خطوة خطوتها نحو المدرسة فى فجر الحياة

فقد اختلف أبى مع أمى فى المدرسة التى ينبغى أن ألتحق بها .
وكانت أمى محافظة متمسكة ما استطاعت بالتقاليد الموروثة التى
نشأت عليها . وكانت سيدة ورعة تميل بفطرتها إلى الهدوء وتؤثر
الحياة اللينة الساكنة . ومع هذا لم يكن فى طوق أحد أن يردّها
عن رأى من آرائها فى الحياة المتصلة بعادات المجتمع الذى
تعيش فيه . . كانت أمنيّتها العظمى أن ترى ابنها تلميذاً فى مدرسة
دينية إسلامية

«ومما لا ريب فيه أن اهتمام أمى بالمدرسة التى ألتقى فيها تعليمى
كان عن فهم لها بخطورة هذه الخطوة . فهى بدء حياة جديدة لى
تقتضىنى القيام بفروض دينية هامة تبلغ عندها مبلغ القداسة .
وكان على إذا بدأت تعليمى الدينى أن أتطهر ، وأظهر الورع ،
وأخرج من طفولتى لأنضم إلى زمرة المؤمنين من أشياخ الدين .
«أما أبى فكان رجلاً حر الفكر ، يقاوم شيوخ الدين ، ويؤيد
الأفكار التى تتسرب من الغرب . وكانت أمنيّته أن يرى ابنه
ملحقاً بمدرسة عالية . وكان الظفر فى النهاية لأبى بعد أن استعان
بـحيلة بارعة . فقد تظاهر فى بادى الأمر بالإذعان لرغبات أمى ،
ووافق على إرسالى لمدرسة السيدة «فاطمة مولا» أشهر مدارس
الدين إذ ذاك . وفى صباح اليوم الذى فرض على أن ألتحق فيه

بمدرستي الجديدة ، استيقظت أمي فرحة سعيدة ، وقدمت لي ثيابا بيضا ، ووشاحا مزركشا ووضعت على رأسي عمامة أحكمت طياتها ووضعت بيدي عصا صغيرة مذهبة .

« وكما كان متبعاً ، وصل شيخ المدرسة إلى المنزل يخف به نفر من تلاميذه . فصلى ، ودعا ، وتقدمت أنا أقبل يده في خشوع ثم قبلت يد أبي ، ويد أمي وسط تهليل رفقائي الجدد ، وخرجنا جميعا نطوف الشوارع في موكب حافل حتى وصلنا إلى المدرسة التي كانت متصلة بمسجد يجاورها .

« وما أن أتممنا صلاة الجماعة حتى أدخلني إلى غرفة خاصة خالية من الأثاث تقريباً ، وأخذ يشرح لي آيات القرآن الكريم .

« وبعد ستة شهور أخرجني أبي من هذه المدرسة في غير جلبة ولا ضوواء ، وسلمني إلى معلم متقدم في السن كان يدير مدرسة ابتدائية تعلم وفق المناهج الغربية . ولم تمنع أمي في إخراجي من مدرستي القديمة ، فإنها أرادت أن تفرح مرة أخرى بحفلة التحاق بمدرستي الجديدة »

وكان عمر مصطفى سبع سنوات في ذلك الوقت وهكذا بدأ حياته ، والصراع في طفولته على أشده بين القديم والجديد ، وقد ترك هذا الصراع في نفسه أعمق الآثار . .



وما أكثر ما يشقى الآباء من أجل أبنائهم . وما أكثر ما يفنى
الأبناء .. ولكن لعله دين يرده الآباء إلى أبنائهم دون أن يجهدوا
أنفسهم كثيراً في النظر إلى وراء .. إلى ما كان في أيام تربيتهم ،
وما صحبها من مشاق .

كذلك كان شأن علي رضا .. وجد دخله من وظيفته المتواضعة
لا يتكافأ وما يحتاجه ابنه من نفقة ، فترك هذا العمل ، واشتغل
تاجر أخشاب . ويظهر أن ما تعود من راحة في عمله الحكومي ،
وما أقبل عليه من جهد في عمله الحر ، أثر على صحته تأثيراً مضمياً
فمرض مرضه الأخير ، ورحل عن الدنيا ولما ير ابنه يخطو إلى نهاية
دراسته .

اضطرت الأم إلى أن تغادر سالونيك مع صغيرها وطفلها إلى
منزل أخيها . وكان مزارعاً يفلح الأرض في قرية قريبة من
المدينة .. وهناك في وسط الحقول نسي مصطفى المدرسة ، والعلم ،
وأقبل على حياته الجديدة : يرعى الماشية ، ويتسلق الشجر ،
ويغتسل في النبع ، ويعيش كما يعيش صبيان القرية في أحضان
الطبيعة الطليقة السخية .

حرم مصطفى من العلم عامين كاملين ، حتى بلغ الحادية عشرة

من عمره . ولكن عوده نما ، وساعده اشتد ، ونعم بحرية لم يكن
يألفها في سالونيك ..

وأخذت أمه زبيدة تراقب غلامها ومصيره ، في حزن ،
ولكن في أمل . رآته يكتسب خشونة الفلاحين ، ورأت طباعه
تتحول من السباحة إلى الصلابة . فعزمت على أن تخلصه من هذا
المحيط . وكانت لها أخت على شيء من الميسرة ، رضيت أن تنفق
على مصطفى في المدرسة ، ولم يلبث الغلام أن عاد من جديد يتعلم !
وفي المدرسة حدث حادث تافه ، ولكنه كان من المناسبات
الصغيرة التي تترتب عليها نتائج كبيرة . تشاجر مع أحد زملائه ،
وأقبل مدرس اللغة العربية يفضل في المشاجرة ، بأن انهال على
مصطفى ضربا دون أن يحقق سبب المشاجرة . وأحس مصطفى أنه
ظلم ، وأيقن أنه لا يستطيع أن يبقى في هذه المدرسة لكي يحتمل
ظلمها جديدا .

عاد إلى البيت ، وقص على أمه ما حدث ، وأنبأها بتصميمه
على ترك هذه المدرسة . فحدثت مشكلة حلها عمه ، بأن اقترح
أن يلتحق الفتى بالمدرسة العسكرية بسالونيك ، وهي معهد للعلوم
الحربية أنشأه السلطان هناك . وبنى العم اقتراحه على أسباب أهمها
أنها مجانية ، وثانيها أن دقة النظام فيها ستكبح من جماح الفتى ،

ونرده إلى الطاعة والنظام من جديد . ثم ان مستقبلها واضح
محدود الهدف .

قص مصطفى كمال ما حدث بعد هذه القطيعة للدرس والمدرسة
قال : « كنت قد تعرفت بجارى الضابط قدرى ، وكان لهذا الجار
ابن يتلقى علومه فى الكلية الحربية . وكنت شديد الإعجاب بثياب
هؤلاء الطلبة الأنيقة ، بل كنت أحسد أحمد — كما التقيت به — على
زيه الجميل . وكذلك كما التقيت فى الطريق بضابط يسير مرتديا
ثيابه الزاهية الخلافة أقف مبهوتا ، وألاحقه بنظرى . وما أن
غادرت المدرسة التى كنت فيها حتى صممت على أن أدخل الكلية
العسكرية لأصبح ضابطا أزين جسمى بالملابس العسكرية البديعة »
وعارضت زبيدة فى التحاق فتاها بهذه المدرسة . فهو سيتعد
نهائيا عن المستقبل الذى رسمته له ، فلن يصبح شيخا وقورا من
رجال الدين . كما أن فى الحياة العسكرية من المخاطر ما لا يطيق
احتماله قلب أم . ولكنها وجدت نفسها أمام الأمر الواقع كما يقولون .
فقد لجأ مصطفى إلى صديق لوالده من الضباط ، الذى توسط لالحاقه
بالمعهد الذى يريده . وكانت فراسة عمه صادقة . فقد صادفت
الدراسات العسكرية هوى فى نفس التلميذ . فما أسرع ما فاز
بإعجاب أساتذته .

وفي هذه المدرسة أضاف أحد المدرسين إلى اسمه الجزء الثاني وهو كمال . فأصبح من ذلك الوقت مصطفى كمال .

ومما يذكّر عنه في هذا الدور من حياته أنه كان نفورا من زملائه التلاميذ لا يختلط بهم ، ولا يشترك معهم في جدهم وهزلهم . وقد حاول نفر منهم أن يتألفوه ، فقال لهم في حدة الغضب : « انا لا أريد أن يكون شأني كشأنكم . بل سأهيئ من نفسي شيئا مذكورا »

وما أن بلغ السابعة عشرة من عمره حتى أنهى هذه المرحلة من الدراسة والتحق بالكلية الحربية العليا في مناستر .

وكان جو هذه المدينة مشبعا برائحة الحرب وغبار المعارك . فقد كانت الجيوش التركية تمر بها لتلقى بنفسها في أتون الثورات البلقانية التي لا تنقطع ، محاولة أن تدرأ عن الامبراطورية المهرمة عوامل الفناء التي تأكل جوانبها

وفي مناستر كان يلتقى دعاة التجديد والناقمون على الإدارة الحاكمة ، والجميع ينادون بالإصلاح ويطالبون به في ثبات ودأب . وعندهم أخذ مصطفى كمال آراءه الثورية ، فتفتحت نفسه ، وتحرر ذهنه ، وغدا كائنا يحس حياته بمعنى ويشعر أن له في هذه الدنيا رسالة .

وكان في أوقات فراغه يأتى إلى سالونيك ، ولما كان يلتقى
 بوالدته ، لأنها تزوجت من تاجر روسى . ولم يقر مصطفى هذا
 الزواج ، ولذا ظل مدة من الزمن كارها للزوج متباعدة عن الأم .
 ولكن رحلاته إلى سالونيك لم تكن تخلو من فوائد . فقد
 تعرف ببعض الرهبان الدومينكان ، فأخذ يتعلم منهم اللغة الفرنسية ،
 وتصادف أن كان من بين أصدقائه ضابط اسمه فتحى ، تابع مع
 مصطفى دراسة هذه اللغة لأنه كان يجيدها . وتدرج الصديقان
 من الدروس الابتدائية إلى مطالعة أمهات الكتب الفرنسية . . .
 وأى كتب تلذ للشباب في هذا السن ، وفي مثل ظروف الشباب
 التركى إذ ذاك غير كتب فولتير وروسو ، واقتصاديات ستوارت
 ميل وهوبز . ومما زاد في شغف هؤلاء الفتيان بهذه الكتب انها
 كانت من محرمات العهد الحميدى . وكان تفرض عقوبة الحبس
 على كل من يضبط متلبسا بتهمة « إحرار » أحد هذه الكتب ،
 كأنها المخدرات أو المفرقات .

وحرب مصطفى كمال مقدرته الخطابية بين جمع من زملائه ،
 فنجح ، واستطاع أن يستثير حماسهم ؛ وأن يجرى الدماء
 الحارة في عروقهم وكأنها وقد اللمب . وكان موضوع خطبته
 الاشارة إلى هؤلاء الاجانب - وعلى الأخص الالمانيين - الذين

يتسيطرون على مرافق البلاد ؛ ووجوب التخلص منهم . والهجوم على سياسة السلطان ، ووجوب الحد من طغيانه .

وجرب مصطفى مقدرته في الكتابة أيضاً ، فإذا القلم يطاوعه ، وإذا به يسطر مقالات في شرح الحرية ومعانيها ، ونقد المعاهدات الجائرة التي كانت تكبل السلطنة . وما أكثر ما استعان بالشعر وبالجلل الحماسية في تنميق كتاباته .



واتقل مصطفى كمال إلى مرحلة جديدة من مراحل دراسته العسكرية . فقد اختير مع بعض المتفوقين من زملائه ليلتحق بمدرسة أركان الحرب في الاستانة .

ولم تكن سالونيك التي نشأ فيها إلا ميناء صغيراً ؛ لا يؤبه له . كما أن مناسير التي قضى فيها صدر شبابه ، لم تكن إلا مدينة من مدن الاقاليم لم تزل من زهو الحضارة إلا أيسر نصيب . وما كاد الضابط الشاب يشهد العاصمة العظيمة حتى بهرته أضواؤها ، وأذهلته ضوضاؤها . ولكنه لم يستغرق لهذا البهر ، ولا لهذا الدهول طويلاً . فسرعان ما أفاق ؛ وسرعان ما أخذ يعتمد على هذا المحيط الجديد . ولم يلبث أن ألقى نفسه في أحضان هذه الحياة الجديدة التي أقبل عليها ؛ وأقبلت عليه ، أقبال مشتاق لمشتاق .

شرب حمر العاصمة ؛ ولعب القمار على موائدها ، وعرف نساءها .
ولكنه لم يقع في أسر هذه الموبقات فقد ألم بهذا كله ، ثم نأت به
طبيعته العنيفة الثائرة عن أن يستسلم ويستذل لهذه الغوايات .
ولكنها كانت متعات الفراغ ، وجمحات الشباب ، كلما فرغ من كل
شيء جاد .

واصل في معهده الجديد حياة الجد التي عرف بها في مراحل
دراسته العسكرية . وفي تركيا يستطيع المجد أن يصل إلى ذروة
العظمة . إذ لم توجد فيها طبقة من الارستقراطيين تحتكر المناصب
الرفيعة . كما كان الحال في معظم الدول الاوربية . ولكن كان فيها
طبقة من النابغين أو المغامرين هي التي تسبق إلى الصدارة مزاحمة
مدافعة بالمناكب وكانت الكفايات التي تؤهل للتقدم تناسب دائماً
مع طبيعة السلطان الحاكم . فأما في الميدان العسكري ، فكانت
الجرأة وحدها هي سند التقدم . وأما في الميدان السياسي فكانت
المهارة في المؤامرة والمداورة هي أجازة المرور إلى حظوة الحضرة
السلطانية الهايونية .

وهكذا لم يكن ميلاد مصطفى كمال من أسرة متواضعة حاجزاً
يحول بينه وبين أن يتقدم ، وأن يرصد أكبر المناصب لكي
يتخذها هدفه وغايته .

طريق من الشوك

- ١ -

الجمعية الصغيرة

في مدرسة أركان الحرب ، وبين هذا الشباب الذي اكتمل
حسه ، ونضج شعوره ، وجد مصطفى كمال يحترق بنيران السخط
على الإدارة الفاسدة التي تعيش بلاده تحت ظلها .

ولم يكن مصطفى الشاؤر الوحيد . بل وجد كل من حوله من
الشباب يحسون إحساسه ، ويشعرون شعوره ، وهم خيرة
ضباط الجيش الناشئين ، الذين جمعهم كفاءتهم من أركان
الامبراطورية في مدرسة أركان الحرب بالاستانة .

ونفذت إلى هذا المعهد حرارة الوطنية ، فتألفت فيها جمعية
سرية اسمها « الوطن » . سرعان ما وجدت من يلبي دعوتها .
وسرعان ما أخذ مصطفى كمال يقوم بدوره فيها . فأخذ يكتب

النشرات الحماسية الممتلئة بالانتقاد المر فتنتقل من يد إلى يد ،
وتشيع بين شباب الحرية آراء التحرر من الظلم الجائم بكامله
الممثل في السلطان ، كما كانت تحض على كراهية رجال الدين الذين
استغلوا مكانهم الروحية لدى الشعب من أجل دنياهم ، وانتشرت
في البلاد الدروشة والشعوذة ، تذيب الخرافات بين الشعب ، وتقلب
الاسلام - دين التحرر والارتقاء - إلى رموز وطلاسم تقر به من
الوثنية .

أقسم الاعضاء المنضوون تحت لواء جمعية الوطن على أن يعملوا
ما وسعته الحياة لتحطيم الطغيان ، وإحلال الحكم الدستوري
الذي يشترك الشعب في مسؤولياته حتى يتخلص من ظالميه .
ويتخلص قبل كل شيء من أشياخ الدين ، ومن الحجاب ونظام
الحريم .

ووصل أمر جمعية الوطن ، التي وصل مصطفى كمال إلى زعامتها
لعلم السلطان ، فأصدر أمره بمراقبة أعمالها والقضاء عليها . واتى
الطلاب من دراستهم ومنحوا راحة بضعة أسابيع يقضونها كيف
شاءوا قبل أن يلتحقوا بوحدهاتهم كضباط في الجيش العثماني . ولم
يضع مصطفى هذه الفترة ، فقد استأجر غرفة صغيرة اتخذها مكتبا
ليدير منه أعمال جمعية الوطن ويكتب نشراته السرية الملتهبة

وأشعاره الوطنية بعيداً عن رقابة الجواسيس . وكان زملاؤه
يجتمعون في المنازل الخاصة ، وفي الغرف الخلفية في القهاوى
حذرين من ملاحقة عيون عبد الحميد لهم ولكن أنى لهم أن
يفلتوا من مكر الثعلب الأحمر !!

بدأت جمعية الوطن في دورها الجديد تدرس أساليب الثورة
العملية ، من تحضير خطط واحكام تدابير واعداد صيغ لقسم عظيم
وتجارب يمتحن بها الاعضاء الجدد . كل هذا والاعضاء لا يعلمون
أنهم مراقبون مراقبة دقيقة ، وأن من بينهم واحداً هو أحد
الجواسيس عليهم ، وكانت المراقبة تنتظر حتى تضبطهم متلبسين
بالجريمة . وبينما كان جميع الاعضاء يفدون إلى مكان اجتماعهم
بناء على موعد سابق ليقسموا قسمهم الاخير ، انقض عليهم
الشرطة وساقوهم إلى السجن الأحمر في القسطنطينية ومن بينهم
مصطفى كال .

وكان مفروضاً أن توقع أشد العقوبات على هؤلاء الشبان
المتآمرين ، ولكن حدث لحسن حظهم أن رضا باشا مدير مدرستهم
تقدم إلى السلطان ليخفف من جسامه التهم الموجهة لهم . وكان
اسماعيل باشا المراقب العام مصمماً على أن يطلب لهم أقصى جزاء
يوقع على أمثالهم ، وكثيراً ما قال للسلطان : « إذا لم تتمكن البلاد

من الاعتماد على الجيش فعلى أية قوة إذن تعتمد؟ وإذا كانت روح الثورة قد تغلغلت في نفوس الضباط ، فلاحد لما تنتظره الدولة من ويلات » . واشتد المراقب العام في حملته على جمعية الوطن وفي إغراء السلطان بالتنكيل بأعضائها بعد أن علم أن مدير مدرستهم تقدم بالوساطة ، ولكن السلطان كان ذكيا ففطن إلى أن مبعث هذه الحملة ، الخصومة الشديدة التي كانت ناشبة بين المدير والناظر ، فتريث .

وسمعت أم مصطفى كمال السيدة زبيدة بأن ابنها نزيل السجن وأنه مهدد بأعظم الاخطار ، فأسرعت إلى العاصمة وحاولت أن تأخذ إذنا برؤية ابنها ولكنها لم تستطع ، وأسعفتها غريزة الهدوء التي جبلت عليها فاستسلمت لمشيئة الاقدار ، ولجأت إلى الدموع تريقها من عينيها حتى ابيضتا من الحزن وهو كظيم .

وأخيراً أمكن رضا باشا أن ينال من السلطان حلا وسطا فأصدر السلطان إرادة «سنية» بنفي الضباط في أنحاء الامبراطورية على ألا يعودوا ، وأن ينفذ هذا الحكم في مدى أربعة وعشرين ساعة .

أبام دمشق

فضى مصطفى كمال ثمانية عشر يوما في البحر قبل أن يصل إلى دمشق التي شاءت إرادة السلطان أن تكون منفي .. وفي هذه الأسابيع الطوال التي يسير فيها إلى نلد لا عهد له به وليسبب يشغل ذهنه ويستولى على لبه . ففكر الشاب وهو بين يدي الماء والسماء في نفسه وفي بلاده وكان رأسه يحتشد بشتى الآراء والخطط ، حتى إذا خيل له أن الأمل المرقوب ينتظره جابهته حقيقة ما هو فيه بمرارتها فيرتد ابتسامه كدا ، وأمله سخطا . ولكنه مع هذا لم ييأس . صاحب في رحلته الطويلة الشاقة نفسه ، فكانت خير رفيق يؤنسه ، وشر رفيق يقلقه كانت تصفو كصفحة البحر الذي يمتد أمامه حتى يلتقى بالسماء ثم تشور كالبراكين الهائجة التي زعموا أنها تسكن بعض أنحاء الدنيا .

وأذن الله للجارية أن تشهد اليابسة ، ولأسيرها أن يلقي

بنفسه في أرض هي أقرب الأرض إلى مهبط عثمان ، وأبعد
الأرض عن أمانى المسافرين .

وخطر له خاطر ..

أليست دمشق وما حولها من بلاد سوريا وفلسطين جزءا من
الامبراطورية العثمانية ، ويهم أهلها أن يخلصوها من سوء ما تعاني؟
لم لا يعمل معهم ، ولم لا يثبت فيهم دعوة الثورة ، ويحضرهم على
معاونته في حركته ..

راح يلقي إلى العرب بأمانيه ، وينذر هذه البقاع داعيا
في خفية ولكنه فجع في مشروعه الجديد .. فقد وجد أهل البلاد
لا يحفلون بتركيا ، بل كثرتهم تبغضها أشد البغض .. وجدهم
ثائرين ، لا من أجل سلطنة العثمانيين ، ولكن من أجل
حريتهم هم ، واستقلالهم هم .. وأدرك تماما أن نفوذ الخلافة الدينية
لم يعد يقوى لكي يكون رباطا يجمع هذه الشعوب في سلك
واحد . والترك عنصر تمتع بالاستقلال ، ومن حقه أن يرقى كما
يشاء . والعرب عنصر « آخر » أذاع في الدنيا نور الحرية ، ومن
حقه أن يعيش - على الأقل - مستقلا . هذا هو إيمان البلاد
التي هبط فيها مصطفى كمال . ومهما أوتي من براعة وفصاحة ، فلن

يستطيع أن يقنع شعبا تواقا إلى حريته ، أن ينصرف عن أمانيه ،
ليعاون غاصب حريته في وقت محنته .

ومن هنا .. من هذه الزيارة بدأت آراء الضابط الشاب تتغير
وتتعدل . بدأ يفهم تركيا على أنها رقعة الأرض التي يعيش فيها
الأتراك . لا التي يعيش فيها كل مسلم . بدأ يعتقد ألا خلاص لتركيا
مما تعاني ، إلا إذا شغلت بنفسها عن غيرها ، فما كسب الشعب التركي
من هذه الأملاك الشاسعة غير الحروب ثم الحروب وما يسبقها من
متاعب وما يتبعها من هموم وما يحيط بها من أطماع ومشاكل .
كانت زيارة دمشق مؤذنة بتطور خطير في نفسية الشخص
الذي قدر له أن يتزعم الأتراك ، وأن يحدد مصيرهم .

وعلى ضوء هذه الزيارة تستطيع أن تفسر النزعات الحادة التي
تمخضت عنها الحركة التركية في فورتها الأولى ، والتي انتهت إلى
القاء تركيا في أحضان أوروبا ..

تركيا أمة

والعرب أمة

بهذا آمن مصطفى كمال ، ولهذا عمل . وهذا كان أقصى ما يصبو
إليه العرب من أمل .

• • •

ترامت الأنباء إلى مصطفى كمال بأن الحركة الوطنية يشتد
ساعدها وأن أنصارها يتكاثرون ، وأن كثيرين من المحركين
غادروا العاصمة إلى سالونيك ، حيث يكونون أكثر حرية ونشاطا
في العمل ، وأبعد عن المراقبة الصارمة التي يطبقها جواسيس
عبد الحميد في عاصمته ..

فلجأ مصطفى كمال إلى القلم والورق وأخذ يكتب إلى زعماء
حركة التحرير يقترح عليهم ، ويستنجد برأيهم ... وطال انتظاره
لرد يتلقاه ، فلم يظفر بشيء . فانتابته حمى القلق وصار يغلى في
باطنه كمرجل .

وأخيرا ..

دس واحد لا يعرفه في يده ورقة فيها جملة واحدة :

« احضر إلى سالونيك سريعا ما استطعت »

وجن مصطفى كمال فرحا ..

ونسى أنه ضابط ولا يستطيع مغادرة مقره بدون أمر

وانه منفي مدى الحياة ، ومغادرة دمشق قد تؤدي إلى اعدامه .

تفكر ، وغادر ثكنته وسافر بحرا يعلل نفسه بالرجاء .

ومن حسن حظّه أن قائد حاميته كان يعطف عليه فتستّر

على سفره ..

وصل إلى سالونيك وراح هناك يغشى الأماكن التي يظن أن
النداء جاء منها . فوجد في كل منتدى أناسا متذمرين من الضباط
ومن غيرهم ، ولكنهم جميعا اقتصروا على ترجمة سخظهم إلى كلام
إذا أريد له أن يشمر قليلا تراجعوا ، ثم خافوا ، ثم أنكروا أنهم
مستائين .

هم راضون كل الرضى عند اللزوم ، ساخطون كل السخط إذا
خلوا إلى أنفسهم وإلى ممتدياتهم الخاصة .

وبعد أن كاد يدركه اليأس ظفر بمن دله على أن هناك جمعية
وطنية جديدة ، تألفت باسم جمعية الاتحاد والترقي فراح يبحث
عنها .

وفي هذه الفترة كان قد ذاع أن مصطفى كمال الضابط المنفي في
دمشق غادر مقره ، فما كاد يتصل بهذه الجمعية ويأخذ في العمل
معهها مبديا آراءه وانتقاداته — وكانت غنيقة — حتى هبط عليه
هذا الخطر الجديد وهو مطاردة السلطة له .

صدر أمر بالقبض عليه . ولم يجد بدا ، بعد معونات جمّة
قدمت له من أن يعود القهقري إلى دمشق متخفيا كما غادرها
ولما سئل رئيسه عنه قال انه كان في إحدى البلدان الفلسطينية ،

وقبل أن ينتهى التحقيق والتدقيق كانت حوادث هامة تقع على شاطئ البحر الاحمر فقد أرادت انجلترا متعاونة مع مصر أن تحتل العقبة وتضمها إلى سيناء ، وصدر الأمر لجيش سوريا التركى بأن يراىض فى العقبة فسار مصطفى كمال ضمن الحملة وبدا نجا من خطر محقق .



في اللبنة الظلماء

وصادف مصطفى حظ عظيم ، فقد صدر أمر لاتدرى كيف ،
ولالم ، بأن ينقل الى سالونيك ! .

وفي بلدته ، حيث ولد وحيث نشأ وحيث اتجهت آماله ألقى
بنفسه في يم من التفكير والتدبير تتضارب أمواجه .

حاول أن يحدد جمعية الوطن فلم يوفق ولم يجد بدا من أن يعمل
وهو كاره مع جمعية الاتحاد والترقي لان برنامجها لم يكن ليغريه
أو يرضى أطباعه .

وكان في سالونيك عدد من زملائه الضباط منهم فتحى
المقدونى وكانوا كلهم أعضاء في فرع الماسون الذى مكنت له صفته
الدولية من أن تنمو في داخله الحركات السرية . وكان قوام
جمعيات الماسون اليهود الذين يطلبون انصافا .. دخل مع الماسون ،
واشترك في أعمال الاتحاد والترقي ، فوجد هذه (الأعمال) لاتتجاوز

المناقشات والمشادات الكلامية ، ومحاولات من اليهود لجذب الحركة الى تيارهم .

أسخطه كل هذا . فقد ازدرد من النظريات ما أشبعه ، بل ما أصابه بالتخمة . كان يريد خططا وعملا بحكم تديره . وحتى نظريات الاتحاد والترقي لم تكن لتقنعه .

لم يحترم رؤساءها وخاصمهم كثيرا . وما أكثر ما تشاد مع أنور وجمال وجاويد ونيازی وطلعت ، فقد كانوا هم الزعماء وكانوا هم الحاطئين في حسابه . جابههم بالمعارضة ، وجرح أعمالهم أمام أتباعهم فكرهوه كما كرهه زملاؤه الضباط لاعتداده بنفسه وتسفيهه آراء غيره ..

واليهود أيضا لم يثقوا به ولذا لم يرق في سلك الماسون . وكان هذا الدور الذي احتك فيه بهذه الفئة كافيا لان يأخذ عنهم فكرة سيئة سمحت له فيما بعد ، وحين دانت له دنياه بان يحل جمعياتهم وأن يطاردهم .

ولم تكن حياته في منزل أمه سهلة مريحة . ولكن احترامه لها كان يحمله على الاصغاء لانتقاداتها .

وحدث مرة أن كان مصطفى مجتمعا مع نفر من زملائه في غرفة من غرف منزله أو على الاصح منزل أمه وزوجها الجديد

وقال في مذكراته عن اجتماع تلك الليلة :

نام كل من في المنزل الا خادمة سمعت همسا في غرفتنا فجاءت
تصغى ثم أسرع الى سيدتها تقول لها إن مصطفى ونفرا من
الضباط معه مجتمعون بالطابق العلوى وهم يتحدثون أحاديث
عجيبة مريبة ، وكانت أمامهم أكوام صغيرة من الذهب (وكان
أغنياء مقدونيا يمدون الحركات العسكرية الوطنية بالمال طمعا في
أن يصونوهم من عبث العصابات)

وصعدت أمى الى حيث نجتمع وأخذت بدورها تسمع ، عرفت
حقيقة ما نبحث فيه وعادت الى غرفتها فى هدوء وظلت متيقظة
حتى انتهى الاجتماع . واذا بها تقبل على وتقول :

— اسمع يا بنى .. أريد أن أعرف منك بصراحة حقيقة
ماتعمله . هل تتآمر على السلطان وأنت تعلم أن له قوة سبعة
أولياء ؟

فقلت لها من غير تردد :

— أجل يا أمى نحن نتآمر على هذا الرجل الضعيف ، الذى
لا يجتمع تحت أثوابه قوة سبعة أولياء كما تذكرين ونحن نحاول
أن نجرده من بقية قوة لا يزال متشبثا بها . واستميتك العذر اذا
لم أذكر لك الحجاج والاسباب التى تحملنا على القيام بما نحن فيه

فان لنا من شبابنا ووسطنا ما يجعل آراءنا غير مفهومة لغيرنا .
و بعد فترة صمت قالت السيدة زبيدة لوحيدها :
— انى أخشى ألا يقدر لك النجاح يا بنى . وأنت تعلم أنك
وحيدى . ولا أستطيع أن أحتمل مصيبة فقدك . وإن مجرد
اشتغالك بما أنت فيه مملأ فؤادى بالهم الثقيل سواء قدر لك النجاح
فتغلبت على السلطان أو قدر لك الفشل فتغلب عليك !
فقال مصطفى :

— ولكن يا أمى أنا متضامن مع زملائى الذين أعمل معهم .
ويستحيل على أن أتخلل من العهد ، ومن المواثيق التى أخذتها
على نفسى . ولا أظنك ترضين أن أكون هزأة بين رفقاى ؟ .
فقالت الام الحكيمة فى تودة :

« أى بنى . احفظ عهدك ، فالرجل الذى يخون العهد يفقد
قيمه حتى عند أمه . وانى لا أفهم من السياسة ماتفهم ، ولم أتلق
من العلم ماتلقيت ، ولذا فانى أريد لك النجاح :
ثم تغيرت لهجتها فاكتسبت حزما زاده الوقار قوة وقالت :
« أجل يجب أن تنجح »

يقول مصطفى فى مذكراته :

« ومنذ تلك الساعة ، وأنا أشرك أمى فى تدابيرى ومؤامراتى
كما أشرك أختى .



« السيدة زيدة »

وكننت أجد منهما ما يقوى في ملكة النضال ويدفعني الى الامام
على الدوام ، غير هباب »

ومما يستحق الذكر أن انهماك مصطفى كمال في مؤامراته ، لم
يله عن واجباته العسكرية ، فكان يجمع بين الجد في ذلك والنشاط
في هذه ففاز بثقة رؤسائه العسكريين كما فاز بتقدير النفر القليل
الذى يرى رأيه السياسى لأن زعماء جمعية الاتحاد والترقى كانوا
يقصونه عن اجتماعاتهم ويكتفون منه بأن يكون عضوا على هامش
حركتهم فلم يأبه لهم وأخذ يعمل لحسابه الخاص غير قاطع صلته بهم .

مفاجآت

- ١ -

انتصار الثورة

لم يتوقع أحد أن يكون عام ١٩٠٨ هو العام الذي ثمر فيه جهود جمعية الاتحاد والترقي . ولكن حوادث الانقلاب في جميع أدوار التاريخ تتمخض عن مفاجآت عجيبة ..

سار نيازي على رأس قوة غير منظمة ولا مهيأة إلى جنوب مقدونية ، وهاجم قوة الحكومة وهزمها . وأذاع أنور بيانا في شرق هذا الأقليم يعلن فيه الثورة . ومع أنه لم يجتمع لزعماء هذه الحركة أكثر من ثلاث مئة عضو يعتمد عليهم ، إلا أن عنصرا السرعة والمفاجأة وحدها هما اللذان سببا نجاح هذه الحركة فقد انضمت اليها القوات التي أرسلت لمقاومتها ، لأن الجيش التركي إذ ذاك كان في حالة يرثى لها . لاندفع أجور جنوده ولا

بعتنى به حكومة السلطان أية عناية كما رفضت جميع الامداد التى
أرسلت لانقاذ الموقف أن تحارب

وهكذا أمسى عبد الحميد وأصبح فوجد نفسه مجرداً من
القوة ، فأعلن الدستور « الذى كان من أعز رغباته » وعاد نيازى
وأنور الى سالونيك فاستقبلا استقبال الأبطال المنقذين . ووقف
أنور فى شرفة فندق « اليمبس بلاس » وأذاع على الجماهير الحاشدة
تفصيل النظام الدستورى الجديد

وصحب اعلان الدستور اعلان الحريات فوفدت جموع من
عظماء تركيا وساستها ووزرائها السابقين الذين نفاهم عبد الحميد
طوال عشرين سنة ، وما أن وصلوا حتى قبضوا بأيديهم من حديد
على أزمنة الأمور ، وأقصوا أنور ونيازى ومن معهما . وقد
عاد نيازى الى البانيا حيث كان ينتظره الاغتيال فاخفى من الميدان
وأما أنور فقد عجل بقبول منصب عرض عليه ، وهو أن يكون
ملحقاً عسكرياً بسفارة برلين



كانت هذه الحوادث هزيمة « للشعوب الاحمر » لا يستطيع
احتمالها فضل صابرا يترقب الحوادث ومن حسن حظه أن الحكام
الجدد وهم الذين عاشوا السنوات الطوال فى أوروبا ، شرعوا فى

مقاومة تقاليد البلاد ، واغراقها في سيل المدنية الغربية ؟ لم تقبله
ووجدت فيه خروجاً على الدين فالى من يتجه مواء الشعب .. الى
السلطان .

وحدث « فجأة » أن التقط القتيل المهيأ شرارة سابحة في
الجو فاشتعل .

أطلق مجهول الرصاص على حسن بك فهمى محرر احدى الصحف
الدينية ، فأخذ اغتياله مظهراً خطيراً ، عاون المعارضة على الظهور
في الميدان .

أخذ الجنود وهم ممثلو روح المقاومة المسلحة ، يطلقون النار
على ضباطهم من أنصار التجديد الغربى ، واستمرت حركة اعدام
الضباط يومين كاملين ، والفتايات تتصاعد من كل مكان بحياة
السلطان ، وسقوط تركيا الفتاة .

وهكذا صح ما قيل من أن ثورة سنة ١٩٠٨ قام بها الضباط
دون الجنود ، وثورة ١٩٠٩ قام بها الجنود دون الضباط .

استنجد رجال تركيا الفتاة بجيش مقدونيا ، وكان على رأسه
محمود شوكت ، فزحف الى العاصمة وأسمى جيشه « جيش
الخلاص » وفي ليلة احتلاله للعاصمة كانت السجون مليئة بأنصار
عبد الحميد ، وفي اليوم الثانى كان عزيز على المصرى يقود

عبد الحميد السلطان الخالوع الى سجنه الجديد في فيلا ألاتيني بعد
أن حاصر يلدز واستولى عليه

وما يذكرك عن السلطان أنه قال وقرار الخلع يعرض عليه
« لامرد لقضاء الله ، ان هذا القضاء ليملاً قلبي غماً لأني عشت
طول حياتي لأبغى غير مصلحة شعبي ولكن ارادة الأمة فوق كل
ارادة .. أجل ينبغي أن أخضع لارادة الامة فهي فوق كل شيء »
يقول فون ميكوش

واصطحب السلطان عدداً من نسائه وقد وجدن في هذه الرحلة
شيئاً من العزاء والمتعة ، فقد عشن طول حياتهن داخل الغرف
ووراء الأسوار ، وكانت رحلتهم هذه سبباً في ركوبهن القطار
للمرة الاولى

وفي المنفى سمع السلطان ونسائه اطلاق المدافع تعلن ولاية
السلطان رشاد العرش



وهنا نبحت عن مصطفى كمال لنعرف دوره في هذه الحوادث
الجسام .

يقول ارمسترنج :

في أثناء ثورة سنة ١٩٠٨ لم يكن له دور يذكر لانه ، وهو

الرجل العسكرى بفطرته ، لم يكن أحق ليشارك فى مقامرة كهذه
ويقول :

عندما أعلن أنور الدستور فى سالونيك كان مصطفى كمال واقفا
منزويا مع نفر من زملائه الضباط لم يلاحظه أحد

ويقول فون نيكوش :

فى جلسة من جلسات المؤتمر استأذن عضو الرئيس فى أن
يقول كلمة ، فسمح له . . قال . .

— هل من مبرر لوجود جمعية الاتحاد والترقى ؟

— لقد كانت فى تكوينها جمعية ثورية ، وقد انتهت الثورة
وفزنا بالدستور بعد كفاح شديد ويستأنف النظام الدستورى أن
تنتقل إلى الهيئة الشرعية التى تتولى الامر ، فلا موجب اذن لبقاء
دكتاتورية هذه الجمعية والا فاننا نسمح ببقاء نظام هو استمرار
لعهد عبد الحميد ، ولذا فانى أقترح حل جمعية الاتحاد والترقى .
فصفق الاعضاء للمتكلم طويلا ، وكان مصطفى كمال .

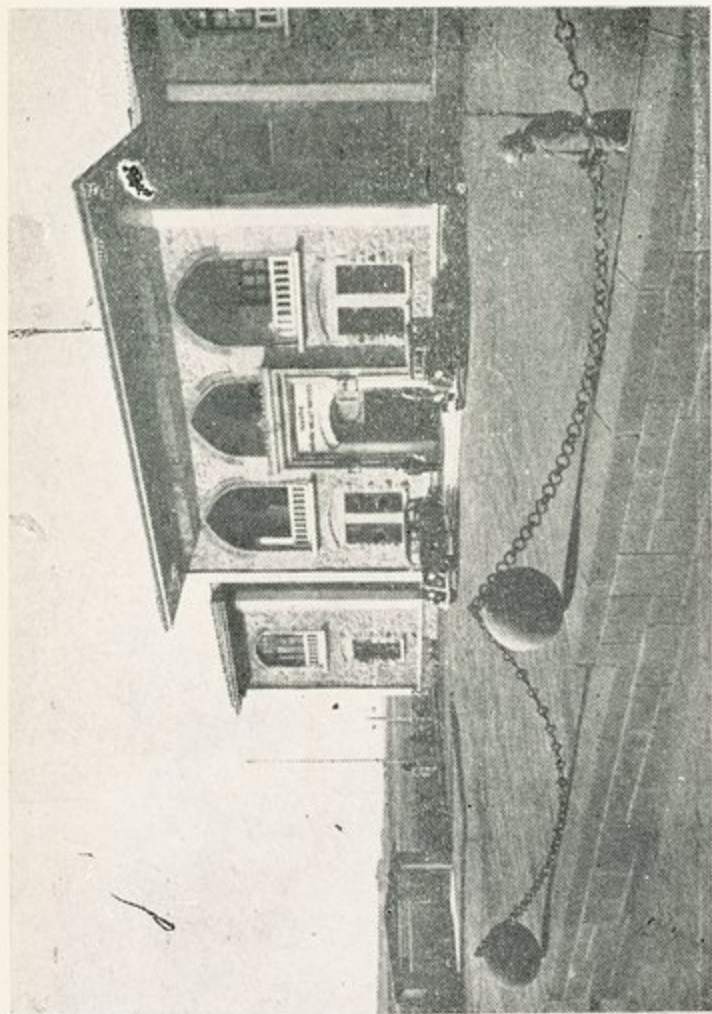
وعقب هذه الحوادث ظل مصطفى كمال يتابع نشاطه العسكرى
ويثقف نفسه ثقافة حربية متينة . وفى سنة ١٩١٠ عين ملحقا
عسكريا ببعثة عسكرية سافرت الى فرنسا وهناك شاهد للمرة

الأولى المناورات العسكرية فامتلاّت نفسه حماسة ورغبة في
الإصلاح

وعند عودته عين مديرا للمدرسة الحربية بسالونيك ،
فادارها أحسن إدارة ولكن هذا كله لم يقنعه ولم يرضه . كان
يشعر في نفسه بأنه فوق هؤلاء الذين رفعهم الحظ . فوق أنور
الذي عاد من برلين ليكون وزيرا مع جمال وطلعت ، وقد كونوا
دكتاتورية ثلاثية تحكم البلاد بيد من حديد .



حارس « الشعب » الأول — دار المجلس الوطني الكبير





طرابلس

سَمَّ مصطفى كمال السياسة والسياسيين ، فلم يكن يجد منهم عقولا تفهم وغيره تحفز ، ولم يكونوا يجدون منه إلا ضابطا عنيدا لا يمكن أن يصل في اقتراحاته السياسية إلى مستوى أنصاف الساسة الذين يدبرون الأمر . فكرههم وكرهوه ، وانصرف عنهم ينتظر مغامرة يلقي بنفسه فيها .

وقد عاوته الاقدار قبل أن يصل سأمه إلى غايته ، ففي شهر اكتوبر سنة ١٩١١ بدأت حرب إيطاليا مع طرابلس ، فما أسرع ما رافق زميلين وجامعهما إلى مصر حيث وجد من المصريين من سهل له اختراق الحدود الغربية إلى طرابلس وكذلك صنع أنور وفتحى ، وبذلك اجتمع في هذا الميدان برجل الحرب الطرابلسية عزيز المصرى والضباط الثلاثة الاتراك .

ويعيننا أن نشير من تاريخ هذه الفترة إلى قسم يهمننا وهو الصلة بين مصطفى كمال وأنور .

كان أنور رئيسا لمصطفى مع أن ثانيهما كان أكبر سنا ،
وكان أنور يحيط نفسه ببذخ لا يطيقه مصطفى إذا كان في الميدان
وكان يبدي من الآراء ما يجعل التفاهم بين الرجلين صعبا ، ثم
متعذرا ، ثم مستحيلا . كان مصطفى كمال فيما مضى لا يلتقي بالله إلى
أنور كثيراً ، فانقلبت صلتهم به في طرابلس إلى احتقار وزرابة ،
اعتدادا منه بنفسه واستخفافا منه بآراء الآخرين .

ظلوا في طرابلس إلى أن جاءهم نذير جديد ، ففي شهر أكتوبر
من العام التالي (١٩١٢) نشبت الحرب البلقانية واضطرت تركيا
إلى أن تستنجد بكل تركي خارج حدودها ، فأمرع هؤلاء الضباط
يحملون معهم خلافتهم إلى ميدان قتال جديد .



سير جدير

اشتد ضغط الثوار على جيش الحكومة فلم تردأ من الصلح وشرعت فيه فعلا ، ولكن حدث أن هبط أنور إلى العاصمة التركية وعلم أن من الشروط التنازل عن أدرنة . فنظم مظاهرة من الضباط ودخل إلى قصر الباب العالي ، فخرج وزير الحربية ليرى هؤلاء الشبان ، فكان الرد عليه رصاصة أردته قتيلا ، وقفز أنور إلى الشهرة ونظرت إليه البلاد كمنقذ جديد .

واضطرت حكومة شوكت باشا ازاء الهزائم المتتالية إلى التسليم بالشروط التي رفضها أنور فكان جزاؤه الاغتيال . وصادف أنور حظ حسن فكان على رأس جيش يحاصر ادرنة ، وفي شهر يوليو سامت المدينة له وبعد قليل من الزمن اختير وزيراً للحربية ونائبا عن السلطان في قيادة الجيش . وتعاون معه طلعت وجمال كما ذكرنا . ونبحث هنا مرة اخرى عن مصطفى كمال فنجد أنه تولى قيادة فرقة في شبه جزيرة غاليبولى أمهل امدادها ، فتكاثر عليها الأعداء

وهزموها هزيمة منكرة فتضاءلت قيمة مصطفى العسكرية ، في نظر سواد الشعب الذي لم يكن يعلم أن إله الحرب نفسه لا يستطيع أن يظفر في معركة وليست من ورائه قوة حكومية أو قيادة عليا منظمة يستند إليها .

وعاد مصطفى كمال إلى استنبول ليعيش مع أمه وأخته عاطلا عن العمل ، ولكنه كان يتر بص ، كانت صلته بأ نور سيئة وإن كان يجد بعض العطف من جمال باشا لاشتراكهما معا في كره الالمانيين الذين يضعون أنوفهم في كل مرافق البلاد وخصوصا الجيش . ولا سيما أن أنور دعا الجنرال ليان فون ساندز لاصلاح الجيش وتحديد قواه .

وقد قال مصطفى محتجا على قدوم هذا الضابط الالمانى :
« إنه لحق ، بل جنون مطبق أن نسمح للأجانب بالسيطرة على الجيش وهو عدة الحياة لنا .. يجب علينا نحن الأتراك أن نهض نحن بجيشنا وإنها لاهانة للوطن كله أن ندعوضابطا بروسيا ليتولى عنا تنظيم جيشنا » .

ولكى يتخلص أنور من عناده ومشاكسته عين فتحي وزيرا في صوفيا ومصطفى كمال ملحقا حربيا معه . ويحسن أن ننبه هنا إلى الصداقة القديمة التي بين هذين الرجلين مصطفى وفتحي -
لأننا سنعود إليها بعد حين .

ونُسبت الحرب

وبينا هو في صوفيا أطلقت عبر الحدود في الصرب الرصاصة التي أشعلت نيران الحرب العظمى وأتاحت للحلفاء فرصة مهاجمة الاملاك العثمانية . وكان منتظرا أن يستدعى مصطفى كمال ليأخذ مكانه في القيادة ولكنه أهمل فأبرق إلى أنور يستحثه لجاءه الرد بأن يبقى حيث هو ، فأرسل يستنجد بأصدقائه ومعارفه ولكن دون جدوى . ومضت الأسابيع وزادت فأصبحت شهورا ، ولم يستطع مصطفى كمال أن يضبط أعصابه أكثر مما فعل . ففي ١٥ فبراير سنة ١٩١٥ حزم حقائبه وغادر مقره بدون إذن قاصدا العاصمة .

ولم يكن أنور إذ ذاك في القسطنطينية فقد سافر على رأس جيش إلى بلاد القوقاز لحرب الروسيين وكان رئيس أركان الحرب لا يأبه لخلافات أنور مع الضباط ، ولا سيما أن الموقف كان حرجا

فقد حاول الانجليز مرتين اقتحام الدردنيل وكان الجيش فقيرا في الضباط الاكفاء فاستدعى مصطفى كمال وقدمه للقائد ليان فون ساندز . فوكل إليه قيادة الجيش المرباط في النصف الجنوبي من شبه جزيرة غاليبولى .

كان القائد الالماني لا يرى بين الضباط الاتراك من يتصف بالمقدرة ، فكلهم رجال حرب في مستوى متوسط ، إلا أن هذا الضابط الجديد الذى دفع إليه ليعمل معه كان من طراز آخر ، لا يبعث على الرضا الكامل ، لأنه كان عنيدا ، ولكنه يحمل على الاهتمام به والتفكير فيه ويضطر مجادله أخيرا إلى احترام آرائه . كان مصطفى كمال صريحا . وكثيرا ما جرح موقف المانيا في الحرب أمام القائد البروسى ، وكان كبير ياؤه لا يقل عن كبيراء فون ساندز ، فاختصا مرارا . وانهى الأمر بين الرجلين إلى أن وصف الالماني صاحبه بأنه ضابط قدير بل زعيم ، ووصف مصطفى كمال صاحبه بأنه كان قائدا كأحسن ما يكون القائد . قال عنه : « كونا نختلف ولكنه بعد أن يصدر أوامره كان يترك لى الحرية فى تنفيذها بالطريقة التى تعجبني » .



(الجنرال لیمان فون ساندرز)

نحو المجلد

- ١ -

غالبولى

كانت الأنباء التى ترد على قيادة الجيش التركى من القاهرة
وأثينا تدل كلها على أن الانجليز على وشك الهجوم ، وأنهم حشدوا
ثمانين ألف رجل يعاونهم أسطول ضخم ليكونوا عدتهم فى اقتحام
الدردنيل .

لم يدر فون ساندز ماذا يصنع ، فان طول الساحل الذى
تجب حمايته اثنان وخمسون ميلا ، والمنطقة التى يعمل فيها جبلية
وفى استطاعة الانجليز أن ينزلوا جنودهم فى أية بقعة على الساحل .
واستيلاؤهم على جبل من جبال شبه الجزيرة يعنى تماما سيطرتهم
على الموقف ، ويفتح أمامهم الطريق إلى العاصمة
كانت القوة التى تحت امرته ستين ألف رجل . فقسمها إلى

ثلاثة أقسام وظل ينتظر وهو أقرب إلى النشأوم لأن هذا التقسيم
قضى بأن تواجه وحدة من وحداته فقط القوات الكثيفة التي
قيل إن الانجليز يستعدون للهجوم بها .

وما أن عاد أنور من ميدان القوقاز وعلم أن مصطفى كمال
يتولى القيادة على النحو الذي ذكرنا حتى أمر بأن تنزل رتبته
في الحال واضطر فون ساندرز لتلبية الأمر فعين مصطفى كمال قائدا
لاحتياطى الجيش ، ونبه عليه بأن يكون مستعدا لمقابلة الانجليز
عندما يتضح المكان الذي ينتظر أن يبدأوا به هجومهم .

وكانت القوة التي يقودها مصطفى كمال مكونة من أورطة من
الأتراك واثنين من العرب . وكان تدريبها ونظامها وأحوالها جميعا
في حالة رثة تبعث على الاشفاق . فأقبل ضابطها بهمة لا تعرف
الكل على اعدادها لتواجه معركة من أقسى المعارك ودرس
منطقته ، وطاف بجميع أجزائها جيدا .

وفي ٢٥ ابريل بدأ الانجليز هجومهم وكان مقررا أن تنزل
الوحدات الاسترالية في منتصف الجزيرة ولكن تيارا قويا
اكتسح السفن التي تنقل الجيش من الأسطول إلى الشاطئ شمالا
فنزلوا في منطقة غير التي أريدت لها .



كانت غاية أنور من انزال مرتبة مصطفى كمال ألا يمكنه من
تولى القيادة في معركة من المعارك ولكن أبت الأقدار إلا أن
تتحقق رغبة مصطفى كمال الذي كان يتحرق إلى خوض غمار
الحرب ويخلف ظن وزير الحربية .

فيئنا كان جنوده يقومون بمناورة بين التلال أتى جندي من
صفه فصاح فيه مصطفى كمال :

— ماذا تصنع هنا ؟ فأجاب :

— الانجليز يهبطون على الشاطئ أمامنا : وقد اضطرت

طلائع المناورة إلى الارتداد .

.. وأين نزلوا

— في برنو

فأصدر مصطفى أمره بمواجهة العدو والهجوم فوراً .

السرعة .. السرعة .. السرعة

هكذا قال نابليون ، وهكذا صاح مصطفى كمال وبذا أتيح

النصر للرجلين .

لم يكن لدى مصطفى كمال استعداد لخوض معركة كهذه
فالمصور الحربي للمنطقة الذي لديه لم يكن وافياً . ومع هذا بدأ
العمل . وزع جنوده وأقام أمام الأعداء الزاحفين خطوط دفاعه

وتمكن من إيقاف الزحف ولم يجد الانجليز بدا من أن يقيموا
استحكاماتهم وأن ينتظروا . ووقف أمامهم الأتراك ومضت الأسابيع
في حفر الخنادق وإقامة حواجز الأسلاك الشائكة وأخذت القوات
المتحفزة تتبادل القذائف وكانت جثث القتلى تنتثر بين معسكري
الجيشين وتجتمع من فوقها الطيور ومن حولها الذباب فتملاً الجو
بالأذى الكريه .

وكان مصطفى كال أثناء هذه الفترة لا يكف عن الطواف
بالخنادق ، والتحدث إلى ضباطه وجنوده . وحدث مرة أثناء
جلوسه على حافة أحد الخنادق أن فتحت إحدى بطاريات الأعداء
أفواهما وأخذت تطلق النيران كالسيل . وكانت قذائف القنابل
تهبط حول مصطفى وهو هادئ ساكن يجيب على الحاح ضباطه
عليه بمغادرة مكانه بقوله :

— كلا . إذا اختبأت الآن فاني أضرب أسوأ مثال لجنودي
ثم أشعل سيجارة وأخذ يدخنها كأنما القيامة لا تقوم من حوله .
وكأنما كان هذا الضابط الجبار محاطا بعناية خاصة . فقد حدث
مرة وهو عائد من غاليبولي أن سقطت قنبلة على عربته فقتلت
السائق ودمرت الطريق أمامه وخلفه ، ومع هذا لم يصب بأذى .

وكثيرا ، بل كثيرا جدا ، ما كان يمسك البندقية ويحارب في الصف مع الجنود كما يحاربون .

وفي شهر يوليو اكتشف مصطفى كمال نقطة ضعف في صفوف أعدائه فرسم خطة هجوم تقضى — إذا نجحت — باكتساح الانجليز وإلقائهم في البحر وما أن علم أنور بالخطة حتى جرحها وسفه رأى صاحبها .

لم يطق مصطفى كمال هذه الالهانة فامتلاء غيظا وقدم استقالته محتجا بأن أنور يفسد كل شيء .

ولم يستطع القائد الألماني أن يحتمل خسارة أحسن ضباطه فألح عليه حتى سحب استقالته ، بعد أن اضطره إلى أن يصغى لردة القاسى على تهجم أنور وعلى سياسته ، وحصل منه على تصريح بكل آرائه .

وازاء الحاح قواد غاليبولى لم يجد أنور بدا من أن يسحب اعتراضاته على مشروع الهجوم ، وما أن شرع فيه حتى أحاط به الاخفاق من كل نواحيه .

وزار أنور ميدان القتال وانتهر الفرصة من جديد فهنا الجنود ، وأظهر لومه لمصطفى كمال فاستقال مرة أخرى ، وأصر على استقالته . فلما أحال عليه الجنرال ليمان من يقنعه بالعدول

اشترط شرطاً واحداً ، وهو أن يتولى قيادة جميع وحدات الجيش ،
لا قوة الاحتياطى وحدها !! وقد رد عليه كاظم رئيس أركان
حرب الجيش وهو يسمع منه هذا الطلب قائلاً :

— أهذا هو كل ما تريد ؟ !

— فأجابه مصطفى فى عناد وإصرار .

— وهذا أقل مما أستحق . ثم ألقى بالتليفون فى غضب .

وألح الجنرال ليمان على مصطفى بالبقاء وإزاء هذا الالحاح قبل
أن يظل فى مركزه .

وفى شهر يوليو كان الانجليز يدبرون هجوماً حاسماً . فقد
وصلت امداد وأسلحة وذخائر ، وزودوا بنوع جديد من السيارات
الخفيفة لنقل الجنود .

وطلب الجنرال فون ساندروز امداداً فأرسلت له من كل مكان .
وكما بدأ المعركة لم يكن واثقاً من النقطة التى سيبدأ منها هجوم
الانجليز فاضطر إلى أن يوزع وحداته وأن يظل مراقباً .

وفى ٦ اغسطس بدىء بالهجوم .

ونترك لموسوعات التاريخ الحربى ذكر تفاصيل هذا الهجوم
ولكن يعيننا هنا أن نذكر أن الانجليز كانوا يستमितون فيه ،
وأن قيادتهم كانت تتلقى من الوزارة البريطانية البرقيات العنيفة

تستنكر البطء في تحطيم المقاومة التركية وتستعجل القيام بهجوم حاسم .

وأدرك القائد الالماني أن المركز حرج . وأن خطأ في التقدير أو ترددا من أى نوع قد يسبب كارثة تضيع فيها غاليبولى ثم القسطنطينية . ولذا لم يتردد بعد ابتداء القتال من أن يوافق على رأى مصطفى كمال ، لا في طريقة الدفاع ولا في تنظيم الوحدات . ولكن في أن يكون مصطفى كمال نفسه قائدا عاما للجيش كله يتصرف كما يشاء . وخصوصا بعد أن وصل كتشتر إلى غاليبولى . ولم يتردد الجنرال ليمان فون ساندروز في أن يحقق بغية مصطفى كمال ، فقد وثق أنه رجل الساعة . فولاه القيادة .

وفي مهمة لاتعرف الكلل أخذ يدير رحى الحرب . وفي «انافارطه» صمد مصطفى كمال للانجليز في استماتة عجيبة وأمكنه أن يوقف المهجوم . ورأى لكى يتفادى الاخطار التى تنتظره أن يرد على المهجوم بهجوم آخر .

وفي ساعة يأس من امكان التقدم . ولطول هذه الحرب صدرت أوامر الوزارة البريطانية إلى قوات غاليبولى بأن تنسحب . وتحت جنح الظلام ركبت بقايا الجيش المغير بوارجها . وتركت غاليبولى لاهلها . وكان رجوعهم في ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٥ .

في الفوز وسوريا

نال مصطفى كمال لقب باشا واطلقت عليه الصحف بطل «انافارطه»
ومنقذ الدردنيل والعاصمة . وبذا بلغت شهرته الاوج . وزاده
نجاحه في غاليبولى اصرارا على أن يتدخل في السياسة . وأن
يبدى آراءه ويفرضها بكل ما يستطيع من قوة ولا سيما أن الساسة
كانوا في نظره أقرب إلى « الفيران » منهم إلى الرجال .
بدأ حملته من جديد على الالمان . وكان يقول : إن كان قد
قدر علينا أن نستعين بهم فليكونوا لدينا خداما لا سادة . ولتركى
وحده الحق في أن يتسيطر على بلاده ويدبر الدقيق والجليل من
شؤونها .

وكان في حربه للنفوذ الاجنبى إنما يحارب أنور لأنه تحول
بمعونة الالمانيين إلى دكتاتور يحكم بأمره .
أخذ يزور الوزراء ويعرض عليهم آراءه التى تتلخص في

أن على تركيا أن تعتمد على نفسها وأن تلقى عن كاهلها النفوذ الألماني . ولكن أحدا لم يصغ له ولم يقدر آراءه . فكان يحترق في نفسه ويصب جام غضبه على الساسة والسياسيين .

ويروى أن مسترنج مثالا لما كان يلقاه مصطفى كمال في هذه الفترة أنه ذهب مرة يزور نسيم باشا وزير الخارجية . وكان الوزير مشغولا فاستبقاه قليلا ، ولما فرغ استدعاه ، فقال مصطفى كمال وكان متشاعلا بالحديث مع أحد الأفراد : دع الوزير ينتظر حتى انتهى من كلامي .

ولما دخل عند الوزير أخذ يذكر له أن الجيش في حالة رثة . وأن تقارير أركان الحرب كلها تزيف وخداع .. وأن .. وأن . حتى إذا انتهى من كلامه قال له الوزير في هدوء :

— لقد أخطأت في اختيار المكان الذي تدلى فيه بآرائك فأنت كضابط تستطيع أن تذهب إلى وزارة الحربية وتقول للمسؤولين فيها ما تشاء .

فقال مصطفى كمال على الفور :

— ان ذهابي إلى وزارة الحربية — معناه أن أذهب إلى الألمانين لأجادلهم في أنهم سيثون إلى البلاد .

ثم خرج من عنده غاضبا كالقذيفة التي تنطلق وتحلف وراءها
السخان .

فراغ جديد .. وسأم وسخط . لم يكن أحد يريد . أو يستطيع
التعاون معه . ولم يكن على استعداد للتفاهم مع أحد بأن ينزل عن
بعض رأيه ويقبل البعض الآخر . فاما أن تؤخذ آراؤه كما هي ،
واما أن يسخط ويصخب ويسب الساسة والسياسيين .

ولكى تتخلص منه الوزارة مرة أخرى عين مصطفى كمال
قائدا للجيش التركي في القوقاز .



أشرنا إلى أن أنور باشا كان يقود حملة تركية في القوقاز ضد
الروسيين . وكانت مؤلفة من مئة ألف جنسى ، وكانت خطته
تقضى بتطويق الجيش الروسى ، واكتساحه إلى ما وراء الجبال .
والخطة من الناحية النظرية بارعة ، ولكن أنور لم يكن الرجل
الذى يعنى بالتفاصيل فأهمل دراسة المنطقة التى يحارب فيها دراسة
دقيقة ، وأهمل حساب الزمن . فخاربه الشتاء كما حاربه الأعداء ،
وعاد من الميدان إلى الاستانة ووراءه جيش محطم لا يزيد
عدده عن اثنى عشر ألف رجل . وقد وجد الروسىون فى احدى

البقاع ثلاثين ألف جندي من الأتراك تجمدوا من الثلج !!
فالى هذا الميدان ، ومع هؤلاء الجنود أرسل مصطفى كمال
ليقود !!

وهي الرغم من سوء الحال إلى حد لا مثيل له لم يقنط القائد
الجديد ، فليس لديه وقت حتى للقنوط ..
انكب على العمل تعاونه أعصاب من حديد كانت عدته في
حياته . وكان يتوقع أن يبدأ الروسيون بهجوم كبير في ربيع سنة
١٩١٧ . ولذا أرسل إلى العاصمة يصف الحال ويطلب امدادا
وذخيرة وأدوية ومؤونة . ولكن أحدا لم يتنازل حتى للرد عليه
بالرفض . فقد كان سيد وزارة الحربية أنور باشا .

وكان الضباط قد تعودوا في هذا الميدان على السرقة والاختلاس
ولم يكونوا يعرفون عن القائد الجديد شيئا ، فدعوه للاشتراك معهم
في انقاذ ما يمكن انقاذه لأنفسهم من أول الحملة . فكان رد
مصطفى كمال عليهم أن أمر بشنق ضابطين ثبتت عليهما السرقة .
وكان الكسول عنده كالحائن .. لا تهاون . ولا تكاسل . والسرعة
في العمل . هذا شعاره . وهو السلم الذي ارتقاه فصعد ..
عين رئيسا لأركان حربه أحد ضباط الحملة ، اسمه عصمت .
وعين مساعدا له ضابطا آخر اسمه كاظم قره بكير . وجاء الربيع

وبدأت الحرب وسار مصطفى كمال في طريقه إلى باطوم .
ومرة أخرى ساعد الحظ مصطفى كمال . فقد انفجرت في روسيا
براكين الشيوعية . وانسحبت جيوشها من جميع الميادين .
وجاءت الأوامر من العاصمة تطلب إرسال كل رجل وكل
بندقية يمكن الاستغناء عنها لأن الانجليز كانوا يهددون تركيا
بأعظم الأخطار في الميدان السوري . فأسلم مصطفى كمال القيادة
لكاظم فره بكير وأعطى الأوامر لكي يعالج المسألة الكردية وينظم
الأمر على الحدود ورحل هو إلى الأستانة في طريقه إلى سوريا



كانت بغداد قد سقطت فأحدث سقوطها دويا شديدا
ارتجت له بقايا الامبراطورية العثمانية وأخذ الانجليز يزحفون على
الموصل فتزايد الخطر .

وكان أنور في الميدان السوري يعتمد ، كشأنه ، على الألمانين
وكان صاحب مشورته الجنرال فالكنهين . ووصل مصطفى كمال .
وأخذ يدرس الموقف . فوجد أن الأساليب والخطط التي تتبع
لا يمكن أن تؤدي إلى انقاذ الموقف . وفي اجتماع للمجلس الحربي
أخذ يبسط آراءه واشتد الجدل ، وسمع كلاما شديدا من القائد
الألماني رد عليه بكلام أشد منه . ووضح من هذا الجدل ألا سبيل

لأن يعمل مصطفى كمال في هذا الميدان ويكون عنصرا مريحا
فأقترح أنور أن يعطى أجازة ورأى الجنرال فالكهين أن يحاكم
أولا على اهاتته له وأخيرا انتهى الأمر إلى الحل السلمي فأخذ
الاجازة واقترض نقودا من جمال باشا عاد بها إلى العاصمة .
وفي قول إنه باع خيوله العربية لجمال بمبلغ خمسة آلاف جنيه
أخذ منها ألفين معجلة والباقي بعد رجوعه .



في الميراث الغربي

البطالة من جديد

ولكنها هذه المرة لم تطل فقد جاءه أمر بأن ينضم إلى حاشية
ولى العهد الأمير وحيد الدين في رحلة إلى المانيا .

وكشأن الأمراء الأتراك كان ولى العهد يؤثر الصمت ،
والتظاهر بالبلادة حتى لا يثير ريبة الخليفة . فلما خلا الجوله في
طريقه إلى المانيا فتح فمه وأخذ يتحدث إلى مصطفى كمال فيمتدح
مواقفه في غاليبولى . وأخذ مصطفى كمال بدوره يذكر له آراءه
في الألمانين ووجوب التخلص منهم وصارحه بأنه يتشكك في أن
النصر سيكون في جانبهم .

وفي المانيا . قابل مصطفى كمال غليوم الثانى وهندنبرج
ولودندورف وغيرهم من آلهة الحرب . وكان لا يكتفى بأن يسمع
منهم العبارات التى لا تقنع بل كان يسأل ويلح . حتى حمل الجنرال

لوندروف مرة على أن يصرح له بأن الالمانيين يستعدون لهجوم
عنيف تكون نتيجته الفاصلة في مصير الحرب .

وكان هذا كلاما غير محدود لا يعجب القائد التركي الذي يريد
أن يعلم كل شيء . فاتهز فرصة جلوسه على مائدة عشاء مع الجنرال
هندنبرج وسأله عن الهدف الذي سيصبون إليه هجومهم . ورجا
ألا يكون ما سمعه من الجنرال لودندورف من « الأمور المرهونة
بأوقاتها » هو أسلوب العمل .

يقول مصطفى كمال في مذكراته :

« لم أكن انتظر من المارشال العظيم أن يدلي إلى بالمعلومات
الدقيقة التي أريدها ، ولكني كنت غير مقتنع وقد حلت الحمر
عقدة من لساني ، فأخذت أتحدث إلى هندنبرج في إفاضة وأشرح
له شكوكي ، وقد تتبع حديثي بانتباه . وكانت اجابته قاطعة وإن
لم تكن جافة . فقد التفت إلى مائدة بجواره وتناول صندوق
السجائر وقال :

« هل تود سعادتك سيجارا أو سيجارة . . ثم قدم لي سيجارة
بيده وبذا تخلص من الاجابة » .

كان أنور يرمى من إفقاد مصطفى كمال في هذه البعثة أن
يبدل رأيه في الالمانيين فإذا به يغادر المانيا وهو أشد ما يكون
اقتناعا بصواب آرائه .

وفي الطريق أصيب بالانفلونزا فاضطر إلى التخلف في فينا .
وكان نفوذ أنور باشا في هذه الفترة يضعف ، وسلطته تتناقص .
وإن العاصفة توشك أن تهب فتقتلع وزارة الطغاة الثلاثة .
وعجل مصطفى كمال كعادته فأرسل برقية إلى السلطان يقترح
تأليف وزارة يرأسها المارشال عزت ، وأدرج قائمة بأسماء الوزراء
وخص نفسه بوزارة الحربية وقيادة الجيش التركي كله ! .
وإذا بالانباء تصل بتأليف الوزارة الجديدة ، ومن الغريب
أن الوزراء الذين تولوا الأمر ، كانوا هم الذين قال عنهم ، ومن
بينهم صديقه فتحي بك ، إلا أن شيئا واحدا لم يتم ، وهو أن يتولى
هو وزارة الحربية أو على الأقل قيادة الجيش .
وما أن وصل حتى جاءته الأوامر بأن يذهب إلى ميدان سوريا
حيث كان يعمل صديقه في غاليبولي الجنرال ليان فون ساندروز .
ولكن هذا القائد سلم القيادة العامة في هذا الميدان لمصطفى كمال
وغادره وهو يكرر له اعجابه وثقته التامة بمقدرته وكفاءته .

الصلح

وفي هذا الوقت كان عزت باشا رئيس الوزارة يتفاوض في الصلح ، وفي ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ تم الاتفاق على إيقاف الحرب .

وعاد مصطفى كمال إلى الأستانة .

عاد عاطلاً كعادته كلما هبط إلى هذه العاصمة . ولكنه كان يشهد مأساة الصلح عن كثب .

سقطت وزارة عزت ، وخلفتها وزارة توفيق ، لكي تسلم بكل شيء ، ورأى مصطفى كمال الخطر من كل ناحية ، والساسة لاهون عنه وعن آرائه . وفي لحظة من لحظات السخط أمسك بالتليفون وطلب مقابلة السلطان ، فلما مثل أمامه عرض عليه مطلبه الخالد ، وهو أن يتولى وزارة الحربية متعاوناً مع حكومة قوية ، وأن

يحل هذا البرلمان الذى أولى ثقته للوزارة الضعيفة الواهنة ، وزارة توفيق باشا .

فما كان من وحيد الدين [وقد أصبح سلطان تركيا] إلا أن حاول فى دهاء توجيه مصطفى كمال وجهة أخرى ، وهى أن يعمل على عدم قيام ثورة ضده .

لم يأبه مصطفى لهذا الطلب ، وراح ينتظر تأليف الوزارة الجديدة التى تعقب حل البرلمان ، فإذا به يجدها ، وقد خلت من اسمه . أى أنه أبعد مرة أخرى عن ميدان النشاط ، فذهب إلى ضاحية من ضواحي العاصمة يقيم فيها ، لا نصير له ولا صديق إلا عارف زميله منذ القدم .

وصادفه حظه الحسن مرة أخرى .

فقد رأى السلطان بالاتفاق مع الانجليز أن أول خطوة تتم هى تسريح جيش الاناضول وحل فروع الاتحاد والترقى فى هذه المنطقة . ورشح السلطان مصطفى كمال للقيام بهذا العمل . ولكن الانجليز عارضوا . فقد هددتهم قبيل إيقاف الحرب نهائيا بأعظم الولايات عندما كان مرابضا مع جيشه فى اسكندرونه وكاد يعلن عصيان أوامر الحكومة ويأبى التسليم .

ومضت أيام ، وقرار التعيين معلق . وأخيرا اقنع الداماد فريد

رئيس الوزراء إذ ذاك المراجع الانجليزية بالموافقة فتم تعيينه . وما أسرع ما ذهب مصطفى إلى امه يودعها ، وما أسرع ما رحل إلى الاناضول ومعه صديقه رافت .

وفطن الانجليز إلى ما قد ينجم من أخطار إذا ما ترك هذا الرجل في الاناضول ، فعادوا يلحون في وجوب إرجاعه وصدرت الأوامر على طول الطريق بإيقافه وأمره بالعودة . ولكن هيهات . فقد أفلت الأسد من القفص .

وفي الطريق أخذ مصطفى كمال يتحدث . وأخذ رافت يصغي وإذا به يذكر لرفيقه في السفر تفاصيل اطاعه وخططه ، وإذا بها تتكشف فجأة لا عن ضابط يريد أن يقود جيشا فحسب . ولكن عن زعيم يريد أن يصنع بيديه دولة جديدة .

هكذا قدر له صاحبه الالماني قديما وهكذا رحل وفي نفسه قوة سبعة شياطين !

خاف رافت مما سمع بل ذهل وعارض صاحبه ، ولكنه كان مؤمنا بكفاءته التي لا حد لها ، فقرر أن ينضم إليه ولكن في حذر . وأخيراً انتهى بهما المطاف في سمسون على شاطئ البحر الأسود . ولم يصمت مصطفى كمال ، بل استمر يتحدث ، فتسرب إلى الجواسيس ما ينتوى هذا الرجل الحظر ، وصدر الأمر

بالقبض عليه . فأفلت الى أماسيا حيث لا جواسيس ولا أعداء .
وهناك استدعى رأفت ورؤوف وعلى فؤاد ، وكان أولهم في
سيواس ، والثاني يقود الجيش العشرين في أنقره ، فجاء ومعه
رؤوف . وانضم إليهم عارف الصديق القديم للزعيم المنتظر . وفي
هذا الاجتماع أخذ مصير تركيا يتحدد ، وأخذ هؤلاء الرجال في
صنع تاريخ جديد لها .



بدء الجهاد

- ١ -

مؤتمر سيواس

أخذ مصطفى كمال يتكلم ويتحمس في كلامه حتى أصبح كالسيل الدافق والرفقاء يصغون في دهشة ووجل . انفقوا على نقطة واختلفوا على كثير .

كانت فظائع أزمير التي قدمنا بها الكتاب قد وصلتهم وكانت انباؤها سندا لمصطفى كمال في وجوب الدفاع عن الوطن وسلامته . واقتسموا العمل : فأخذ على فؤاد الغرب وكاظم قره بكير الشرق ومصطفى كمال الوسط .

وما أن بدأ مصطفى يتحدثهم عن السياسة وفي وجوب تأليف حكومة غير الحكومة المركزية حتى بدأ الخلاف ، فقد أحسوا وسط حماسة مصطفى كمال رغبته في أن يمسوا السلطان ونفوذ . وأخيرا قبل مصطفى كمال حلا وسطا وهو أن يعقدوا مؤتمرا في

سيواس يحضره مندوبون عن البلدان والقرى الاناضولية لكي
تعرض عليهم خطة العمل .

وانطلق القواد كل في منطقته ينشر الدعوة وينظم لعقد المؤتمر .
وأحست الحكومة بنشاط مصطفى كمال فأصدرت أوامرها
إلى موظفيها بعدم تنفيذ أى أمر يصدر منه ، ثم ضيقت العاصمة
عليه الخناق أكثر من هذا فصادرت المؤتمر ، ولكن لم يمض
الاسبوع الاول من شهر يناير سنة ١٩١٩ حتى كان مصطفى قد
هبط أرضروم . وهناك حاولت السلطات اقناعه - مهدة - بأن يعود
إلى العاصمة فرفض فاتصل به وزير الحربية وحاول استعطافه ،
فوجده فوق الاستعطاف .

فاتصل به السلطان تليفونيا وطلب منه الحضور ، فرد عليه في
خشونة قائلا :

— لن أحضر .

فالما أصر السلطان أصر هو على موقفه .

وبينا كان مصطفى كمال يكتب استقالته من مناصب الدولة
كان أمر العزل قد وصله ، وأذيع في جميع أنحاء المملكة فشطب
اسمه من قائمة الضباط وهدد كل من يتصل به أشنع تهديد .
وفي أرضروم اجتمع مندوبو المناطق الجديدة التي أمكن

للسعاة الوطنية الجديدة ، وطنية الانقاذ والتحرير ، أن يحرضوهم
على الحضور .

وحدث أثناء اجتماع المندوبين أن أصدر السلطان أمرًا
بتولية كاظم قره بكير منصب القائد العام لجيوش الاناضول . وكان
أول واجبات القائد الجديد أن يلتقى القبض على مصطفى كمال
ويرسله مخفورا الى العاصمة .

وهكذا تحول الموقف تحولا عجيبا . . فقد أصبح كاظم السيد
الرسمى لهذه المناطق ، وأصبحت في يده القوة التي تمكنه - إن
أراد - من سحق الحركة الوطنية ، ومن غل رئيسه السابق ،
وزعيمه الحاضر ، في سلاسل من حديد وإرساله حيث يلتقى جزاءه .
تردد كثيرا ، ولم يخف قلقه على مصطفى ورؤوف . . أخبرهم
بالاوامر السرية التي تلقاها . . ولكنه ظل يفكر في بطل . تذكر
كيف أن مصطفى عينه نائبا عنه في عام ١٩١٧ في القوقاز وأمره
على الجيش التركي هناك ، وكيف أنه اختاره ركنا من أركان
الحركة الجديدة .

ولم يتردد مصطفى كمال فقد اعتمد على حظه ، وعلى أن الاقدار
ستنصره ما دام سائرا في طريق الحق والواجب ، فألقى بنفسه
وآماله بين يدي كاظم قره بكير ، وتركه ليختار بين تبعيته للسلطان

وقيادته للجيش ، وبين تبعيته لمصطفى كمال ، وأن يكون طريقا
مثله من الجيش والسلطان .

وقد اختار الرجل . .

آثر الثانية على الاولى . واحتفظ ببيعته لزعيمه ، فكان مثلا
كريما .

وانعقد الاجتماع في اليوم التالي وتقرر أن تعرض فكرة إنشاء
حكومة وطنية مستقلة عن حكومة السلطان في الاناضول ، وأن
يفتخب مصطفى كمال رئيسا للجنة التنفيذية التي تحضر لمؤتمر
سيواس ، وأن يكون مصطفى كمال بعد هذا كله نائبا عن أرضروم
في المؤتمر ، وتقرر أيضا أن يعاون رؤوف الرئيس في أعباء الرئاسة .
وهكذا كسب مصطفى المعركة على طول الخط ، أصبح الشعب
وراءه وكاظم وجيوشه يؤيدونه .

وفي سيواس توافد المندوبون من كل مكان . من جميع أنحاء
تركيا ، حتى من قسمها الاوروبي . وكانت أوامر الحكومة صارمة
في وجوب القبض على هؤلاء المندوبين أينما وجدوا ، فكانوا
يسرون في الليل ، ويختارون أعسر طريق بين المفاوز والجبال ،
حتى أن مصطفى كمال نجى من القبض عليه بأعجوبة .
وككل مؤتمر يعتمد فيه المجتمعون على ألسنتهم ترى الآراء

تتشعب ، وتتباعد . فمن قائل بأن مقاومة الانجليز مستحيلة ، ولا سيما المقاومة المسلحة . ومنهم من كان يعارض في إيجاد حكومة أخرى غير حكومة السلطان .

وظل مصطفى كمال يكبد ويجد . يتحدث مع كل عضو على حدة حتى يقنعه ويواصل ليله بنهاره في كلامه ، وفي وعوده ، ووعيده حتى تمكن من تدعيم زعامته لهذه الهيئة ، على كره من بعض كبارها مثل كاظم قره بكير ورؤوف اللذين خشيان تفرده بالأمر . وحدث أن اكتشفت رسائل تدل على أن رئيس الوزارة الداماد فريد يحرض على ثورة كردية ، فزادت هذه المؤامرة من شعور المؤتمر بالخطر ، فألقى بنفسه بين أحضان مصطفى كمال ، فكان له ما أراد .

وأجاب السلطان على هذه الحركة ، بأن أسقط وزارة الداماد ، وألف وزارة جديدة ، وأمر بإجراء انتخابات جديدة .



فاز في الانتخابات الرسمية نواب المؤتمر بأغلبية كبيرة جدا ، وكان مصطفى كمال قد نقل مركز الحركة إلى انقره . وإذا بقائل يقول : مادمنّا نوابا رسميين فلنذهب إلى العاصمة ولنعقد فيها اجتماعاتنا . وعارض مصطفى كمال محتجا بأنهم سيكونون هناك

القبير على ضفاف البوسفور



تحت رحمة السلطان . ولكن لم يصغ إليه أحد ، وقادر رؤوف حركة
النواب . وسافروا إلى الاستانة ملتفين حول الزعيم الجديد ،
وتار كين مصطفى وحده في أنقره .

وساد شعور في كل مكان بأنه لا داعي لأن ينشب الخلاف بين
بعض الاتراك والبعض الآخر ، وشعر مصطفى بأن البناء الذي
بناه ينهار حجرا بعد حجر . ولكنه لم يفزع ، ولم يجزع .

فقد كان على علم باخلاق وحيد الدين ، سلطان الاتراك ، فهو
رجل هلوع ، يخشى أن يقدم على ما يغضب الحلفاء خشية أن
يتزعزع العرش ، ولذا كان على ثقة من أن الأمر سيعود إليه وأن
البلاد ستلتف حوله من جديد

كان يؤمن بالمقاومة المسلحة ، ولهذا أخذ يعمل تاركا الزمن
وحده ليحل مشكلة البرلمان الذي هرب منه إلى السلطان . وإذا
رجع القارئ إلى أول صفحات الكتاب ، فإنه يجد الفظائع التي
ارتكبت في أزمير والأستانة والتي انتهت بالقبض على النواب
ونفهم إلى مالطه ، وضغط حذاء الاحتلال الثقيل على تركيا ،
فضاقت النفوس واشتد الحرج .

وفي هذه اللحظات الضيقة نظرت البلاد مرة أخرى إلى مصطفى

كمال . وخصوصا بعد أن أفتى رجال الدين في العاصمة بأنه خارج
وأن دمه مهدر ، ووعد السلطان بدفع مبالغ طائلة لمن يأتي برأسه .
وكان تشريد البرلمانيين سببا في انتخاب مؤتمر جديد يعقد في
انقره . ولم تكن هناك صعوبة في انتخاب مصطفى كمال رئيسا
للمؤتمر ، بل زاد نفوذه فقد وكلت إليه رئاسة الوزارة التي اختارها
المؤتمر . وبذا جمع بين يديه التشريع والتنفيذ ، فأصبح حاكما
بأمره ، أودكتاتورا للحكومة الوطنية .

لم يسكت السلطان ، بل أوف جيشا ووجهه إلى الاناضول
لسحق مصطفى كمال وأنصاره ، وسار جيش السلطان يكتسح
القرى ويأسر قوات الزعيم الثائر . وتخرج الموقف إلى حد بعيد .
لم يفقد مصطفى كمال ثباته ، وإن كان النواب قد أخذوا
يضجون بالشكوى ويصخبون . وفي جلسة زاد التذمر إلى أبعد
حد ، فوقف القائد على منبر الخطابة . . وسكن الضجيج .
قال مصطفى :

« هل أتم أتراك . . أتجلسون هنا لتكلمون . . هيا بنا
ننظم جيشا لطرد هؤلاء اليونانيين الذين سادوا وهم عبيد الأمم .
اتحدوا واستعدوا ، وسيكون النصر من نصيبنا » .

واختفت المعارضة وألقى المجلس بنفسه مرة أخرى في أحضان
الغضب الأعبر .



هذا خطر جديد يزحف .

فقد أدت فظائع اليونانيين في أزмир وضواحيها إلى نشوب
حرب بينهم وبين عصابات القرويين التي قادها رجل من الرجال
الأشداء وهو أدهم . وقد وفق في كثير من المناسبات ، ووجد
نفسه في بلاد لا سيد لها ذا جيش ونفوذ ، ففكر في أن يستقل
بأمره ، وأخذ يجمع الضرائب ويذيع البيانات باسمه في صحيفة ،
واتخذ مدينة «كوتاهية» مقرا له ، متجاهلا أنقرة وقائد حركتها .
سار الوسطاء بين أدهم ومصطفى رجاء أن ينضم الأول إلى
الثاني فرفض . . واستمع على فؤاد قائد الجبهة الغربية إلى إغراء
أدهم فهاجم اليونانيين في أزмир بجيشه ، ولكنه هزم هزيمة
منكرة . .

ولم يجد مصطفى كمال بدا من وقف أدهم عند حده خشية
أن يتفاقم خطره ويذيع بين الناس الفوضى والرغبة في العمل غير
المنظم وهذا ما ياباه رجل الحرب .

دعا مصطفى غريمه إلى أنقرة ، فجاءه تقيله عربة مصطفى

كمال ، وكانت المركبة الوحيدة في أنقره ، وواجه كل منهما صاحبه .
ولا شك أن رأس كل منهما كان يفكر في طريقة يقتال بها خصمه
وكما بدرت من أحدهما حركة فزع الثاني إلى مسدسه .

ولم يجد الكلام ، فاقترح مصطفى كمال أن يذهبا معا في القطار
إلى اسكى شهر ، حيث يوجد عصمت ، نائب مصطفى كمال في
قيادة الجيش الجديد الذى شرع في إنشائه مع فوزى .

وتجاهل مصطفى أن أدهم كان يتحين كل فرصة ليخرج
مسدسه ويفرغ رصاصه في صدره ، بل سار معه متجها بنظره الى
الامام . وفي أثناء الرحيل فكر أدهم في أن من الجائز أن تكون
المؤامرة التى نخشاها في انتظاره . فسيكون في اسكى شهر بعيدا
عن قواته ، وبين يدي عصمت وجنوده . فما كان منه إلا أن
انتهز فرصة سانحة ، ونزل من القطار حيث التحق بعصاباته .

وفي كوتاهية أخذ يتصرف كما كان ، بل طرد الموظفين الذين
أرسلتهم أنقره ، وأرسل إلى المجلس الوطنى رسالة يقول فيها :
« تعبت البلاد من القتال . ويجب أن يكون لبعثة عزت باشا من
السلطة ما يسمح لها بالمفاوضة في الصلح . . وأنا أعبر عن رأى
الأمة والجنود » .

فرد عليه مصطفى كمال بقوله :



(عصمت اینونو)

« كنت اتحدث معك كزميل لزميل قديم، والآن أنا أعاملك
كما يعامل رئيس حكومة أى فرد من الناس » .
ثم أصدر أمره إلى عصمت بسحق أدهم وقواته . فصار رافت
على رأس جيش إلى كوتاهية ، وأخذها . وأمام هذه الهزيمة سار
أدهم إلى اليونانيين والتحق بهم طمعا فى أن يعاونوه على الانتقام
من مصطفى كمال .

وقد انتهز اليونانيون فرصة هذا الخلاف فصاروا إلى افيون
وأخذوها ، واستولوا على قسم من سكة الحديد . وفى عودة عصمت
من كوتاهية أنقذ المدينة وعسكر فى اينونو .
وقد ادهشت هذه المقاومة اليونانيين فراجعوا للقيام بهجوم
كبير فى صيف عام ١٩٢١ .

وكان هذا النصر الأول فى اينونو باعثا على استعادة الاتراك
الثقة بانفسهم ، فانتعشت الآمال .

وجاءت أنباء أخرى سارة من جيش الشرق الذى كان يقوده
كاظم قره بكير ، وهى أنه تغلب على مقاومة الاكراد واتصل
بالشيوعيين وحمل سلاحهم وأموالهم ليدعم بهما الحركة فى أنقرة .

سفاريا

بينما كان مصطفى كمال قابعا مع فوزى فى أنقره يراجعان الحرائط ويتلقيان الأنباء ويصدران الأوامر كان اليونانيون قد بدأوا هجومهم فى شهر يوليو بجموع كثيفة . ولم يكن الاتراك قد اكملوا استعدادهم فسقطت كوتاهية وأفيون قره حصار وأخذت جيوش الأعداء تزحف على اسكى شهر حيث يعسكر الجيش التركى ، وكانت خطتهم تطويق الجيش ومحاولة افناؤه .

وكان عصمت فى حيرة حائرة يسير فى مكتبه وهو فى غرفة حقيرة فى بناء متهدم ، مهتاج الأعصاب ، يحترق بنيران الغضب . فقد كان سقوط اسكى شهر يعنى تماما ضياع كميات كبيرة من الذخيرة والمؤونة ، وفتح الطريق إلى أعماق الأناضول وهزيمة الوطن والوطنية هزيمة منكرة .

لا سبيل إلى حل الموقف إلا بوجود مصطفى كمال ، فأرسل له مستنجدا . ولجى القائد الزعيم .

وما أن وصل حتى تولى من فوره القيادة . وفي ثقة لاحد لها
أخذ يعمل فيحي همم الرجال ، ولا يعنيه قليلا أو كثيرا ما يحيط
به من حرج الظروف .

انكب على دراسة الموقف ، وراجع الخرائط ، وسمع التقارير
وفجأة أصدر أمرا باخلاء اسكى شهر ، والتراجع إلى الورا ثلاث
مئة كيلو مترا والوقوف عند نهر سقاريا حيث يمكن تغطية أنقره .
فان التراجع يطيل خطوط الأعداء ويضعف بعض الشئ من
قوتهم ويتيح للقوات فرصة التجمع والاستعداد أكثر من ذي
قبل . .

وأعقب القائد العجيب إصدار هذه الأوامر بوضع أعلام صغيرة
على المواقع الجديدة للجيش ، ثم أسرع إلى أنقره .
وكانت تنتظره في أنقره أزمة جديدة فقد خشي الأهالى أن
يؤدى تقدم اليونانيين إلى سقوط المدينة فأخذوا يستعدون لمغادرتها
والهرب إلى الجبال الشرقية .

وكان النواب فى المجلس يصيحون مطالبين برؤوس هؤلاء
الذين تسببوا فى هذه الهزيمة .

ولم يتردد مصطفى كمال فى مواجهة العاصفة الجديدة ، فقد
وقف فى المجلس ، وسلط عليه صواعق من نار غضبه ، وطلب فى

النهاية أن تعطى له سلطة التصرف المطلق ، كقائد عام لا يراجع
وبعد تردد يسير وافق النواب ، فقد كان خطر مصطفى كمال
أهون عندهم من خطر اليونان .

وبينما كان يركب جواده سقط من عليه ، فكسر أحد
أضلاع ، ولكن هذه الإصابة لم تحتجزه في الفراش غير يومين
اثنين ، قام بعدها ليسرع إلى نهر سقاريا استعدادا للقاء اليونانيين .



وفي الميدان الجديد كان القائد الديكتاتور يعمل كأنما صيغ
من حديد . كان ينام بثيابه أقل الوقت ، وكان يجلس أكثر
الوقت إلى مصوراته الجغرافية وإلى ضباطه يعمل معهم في جلد
لا ينفد . وكان أكثر رجاله التصاقا به عارف صديقه . كان ينحن
فوق كتفه فيبدو وجهها الرجلين كأخين توأمين . ويقول له : هذه
القرية تبعد عشرة أميال عن تلك ، وهذا المكان يرتفع كذا ،
وذاك يهبط كذا ، فقد كان عالما بكل شبر من هذه البقاع .

كان الموقف حرجا ، وكانت الهزيمة تساوى تماما ضياع تركيا .
وكان مصطفى يتذكر أيام غاليبولى في حسرة فقد كان
يستطيع إذ ذاك أن يصدر أمره مرة واحدة لعشرة آلاف .

أما هنا ، فهو مضطر إلى أن يعمل حساب كل جندي ويحشى
مغبة كل مخاطرة .

وبدأت المعركة واستمرت أربعة عشر يوما دون أن يترجح
النصر في جانب ، وكان مصطفى كمال يسأل نفسه دائما: أيتراجع قبل
أن يفسد عليه الأمر ويصبح التراجع مستحيلا أم يستمر ؟
وفي ليلة دق جرس التليفون وأسرع ضابط إلى قائده يقول له :
— فوزى باشا يريد مخاطبتك بالتليفون .

وأسرع مصطفى كمال ووقف حراسه وضباطه غير بعيد ،
ووجوههم تكاد تبيض خوفا ، وإذا بهم يسمعون رجلهم الجبار
يصيح مع مخاطبه :

— ماذا تقول ؟

فيرد عليه فوزى باشا :

— لقد انهكت قوى الأعداء وهم يستعدون لتراجع عام .
ألقى مصطفى كمال سماعة التليفون ، وقفز إلى مكتبه ، وأصدر
أمره بأن يحشد كل الجيش الاحتياطي في الشمال ، وأن يقطع
على اليونانيين خط الرجعة .

ثم صاح يطلب قهوة !!

وفي الصباح كان في جهة القتال وقد ثارت فيه كل غرائز

المحارب التركي . لا يحتاط لشيء ولا يخشى من الرصاص الذى كان يتهاطل من حوله كالطر ويصيب الرجال فيسقطون صرعى .
وفي اليوم الثانى والعشرين كان اليونانيون يجتازون نهر
سقاريا وفي طريقهم كانوا يحرقون القرى انتقاما لهزيمتهم حتى لقد
خلفوا وراءهم مئتي ميل صحراء جرداء .

وأمرع من وراءهم مصطفى كمال يتعقبهم ككلب الصيد وراء
الطريدة ، حتى استقروا عند خطوطهم الأولى فى اسكى شهر ،
وأمر هو بالاقامة أمامهم . ثم وضع أعلامه فوق الخرائط ، وعاد
ركضا إلى انقره . وبذا أضاع اليونانيون ما بذلوا من جهود منذ
شهر يوليو . . أى منذ بدأوا هجومهم الكبير .



جن الناس فى انقره أيما جنون ، وسارت مواكبهم فى كل
مكان من مطلع الفجر إلى أعمق الليل ، تهتف للبطل وتمجد
(الغازى) . . فهذا لقبه الجديد .

وجاءت التهاني من كل مكان تترى . فهذه برقيات من روسيا
وأخرى من الأفغان وثالثة من الهند ومن أميركا وحتى من فرنسا
جاءت التهاني .

ومصطفى كمال لا يكره بفطرته تصفيق الجماهير ولا أفرح

الشعب ، ولكن من العيب أن يجارى هذه الجموع فيزعم أن هذا الذي نال كان نصرا كاملا .

فقد كان برنامجنا أن يطرد الأعداء من البلاد ويقذف بهم إلى البحر ، أما ما حدث حتى الآن فهو إيقاف الزحف .

لا يزال البرنامج ناقصا ، بل لم يتم منه إلا أسر بنوده .
اذن فليفرح من يشاء . أما مصطفى فقد انكب على العمل
يعاونه عصمت وفوزى .

وكان أهم ما وصل إليه في هذه الفترة عقد معاهدة سرية مع فرنسا تمكن عن طريقها من الحصول على ثمانين ألف رجل من الجبهة السورية ومعدات حربية تكفي أربعين ألف رجل ولم يقنع بهذا بل اشترى أسلحة من إيطاليا وأمريكا بالنقود التي كانت تأتيه من موسكو .

وكان أهم ما يحتاج إليه الرجال ، فخذ كل قادر تقريرا على حمل السلاح .

ومضى شهر بعد شهر ، وأثر هذا المجهود الهائل فتكون الجيش على النحو الذي أراده مصطفى كمال . ولكن القرى بدأت تشكو من الشكوى . وكان حرج الحرب ، وخطر العدو يكافوا

البرلمانيين ، فقد ظلوا صامتين حتى إذا رأوا العدو ينجاب إلى خطوطه الأولى أخذوا يتكلمون .

وجاء من بخارى أن أنور هبط فيها . وأقام نفسه أميرا عليها وأخذ يستعد للقدوم إلى تركيا على رأس جيش كبير . مقلدا عثمان في زحفه الأول .

وانتهى الأمر إلى أن أخذ الضباط يتكلمون في السياسة ويثرثرون مع البرلمانيين !

ثم إن رؤؤفا وفتحى نالا عفوا من الانجليز وغادرا مالطة وقدا إلى تركيا، ورؤوف هذا هو الذي قاد حركة النواب ضد مصطفى كمال عقب مؤتمر سيواس .

كانت هذه كلها طعنات من وراء فأسند ظهره إلى الحائط على حد تعبير رجال الحرب وأخذ يقاتل . وكشأنه دائما تمكن بأعصابه الحديدية من أن يهدىء هذه المعارضات ويسكت الثائرة إلى حين .



وفي أواخر شهر أغسطس قرر مصطفى كمال أن يضرب ضربته الأخيرة . تولى القيادة العامة ، بمعاونة عصمت قائد الجيش المحارب وفوزى رئيس أركان الحرب .

ففى ١٧ أغسطس أقام مباراة كبيرة لكرة القدم ، بين رجال الجيش وزعم أنه ذاهب ليحضر المباراة ، وهو فى الواقع كان ذاهبا ليعطى أوامره لقواده وضباطه ، ثم عاد إلى انقره دون أن يثير شبهة . وفى ٢٤ أغسطس دعا كبار رجال انقره إلى حفلة رقص تستمر طول الليل . وأخبر ضيوفه أنه منهمك فى عمل هام . ثم انسل من البيت دون أن يعرف أحد حتى أمه وأخته وجهته ورحل قاصدا جهة القتال .

وكانت قواته تتجمع سرا فى افيون قره حصار ، وأشرف على التدريب الأخير للمعركة الحاسمة . وقبل أن يصدر أمر الهجوم بحث عن خالده أديب زوجة عدنان صديقه فلم يجدها ، فأخر اصدار الأمر حتى قدمت من قونية ، لأنه كان يؤمن بالخط ، ويؤمن بأنها تجلب له حظا حسنا .

وفى فجر ٢٦ أغسطس صاح فى جنوده :

« إلى الأمام ، حتى تصلوا إلى البحر المتوسط »

وما أن أرخى الليل سدوله حتى كانت جيوس الغازى تخرق صفوف الأعداء وتدمر خطوط مواصلاتها الخلفية .

ذهل اليونانيون من هول المفاجأة التى جاءتهم على غير

استعداد وكانت السياسة الداخلية في بلادهم تقسمهم في الجيش
وكانت مؤوتهم وذخيرتهم ناقصة .

اكتسحوا . ونجت منهم بلاد الأناضول . وان كان جيشهم
قد نجا بأن ركب البواخر التي نقله إلى بلاده . ولم يستطع الثائب
الأعبر أن يلاحقهم أكثر مما صنع فقد حال الموج بينه وبينهم .
وسار مصطفى كمال ، في موكب الظفر إلى أزمير ، وكانت
جموع القرويين على طول الطريق تحيي الغازي أحر التحايا .
وفي المدينة التي ردت لها كرامتها وقف على رابية ينظر إلى البحر ،
ليرى إذا كان اليونانيون قد خلفوا وراءهم شيئا أم أنهم غادروا
إلى غير عود .



وفي الطريق إلى تراقيا كان يراى الانجليز ويرفضون السماح
للجيش السكالى بالمرور ..

عاد الغازي إلى أنقره ، وعادت الثروة إلى أشدها ، وفريق
من النواب يريد أن تعقد الهدنة فورا ، وتوضع شروطها وفريق
يغلو ويطالب بأشهر الحرب على الانجليز الذين يحولون دون وصول
الجيش إلى غايته .

ومصطفى كمال وسط هذا العجيج عاكف على دراسة الموقف

يستشير المقر بين له . وجأة صدرت أوامره . وإذا بالجيش يتحرك .
وإذا به يسير في خطى وثيدة حتى يصل إلى خطوط الانجليز ،
ويحبس الجميع أنفاسهم توقعاً للهول المنتظر . ولكن يصدر أمر
الضباط للجنود فينكس هؤلاء السلاح ويتقدم الجيش مسوقاً
بالفرسان ويدهش الانجليز فهؤلاء جنود أمامهم يسرون ويخترقون
الصفوف لا يشهرون سلاحاً ولا يبدون عداً وتدور المخابرات مع
قائد المنطقة والقائد العام السرهانجتون . فيصدر الأمر بالسماح
للائتراك بالمسير إلى حيث يريدون .

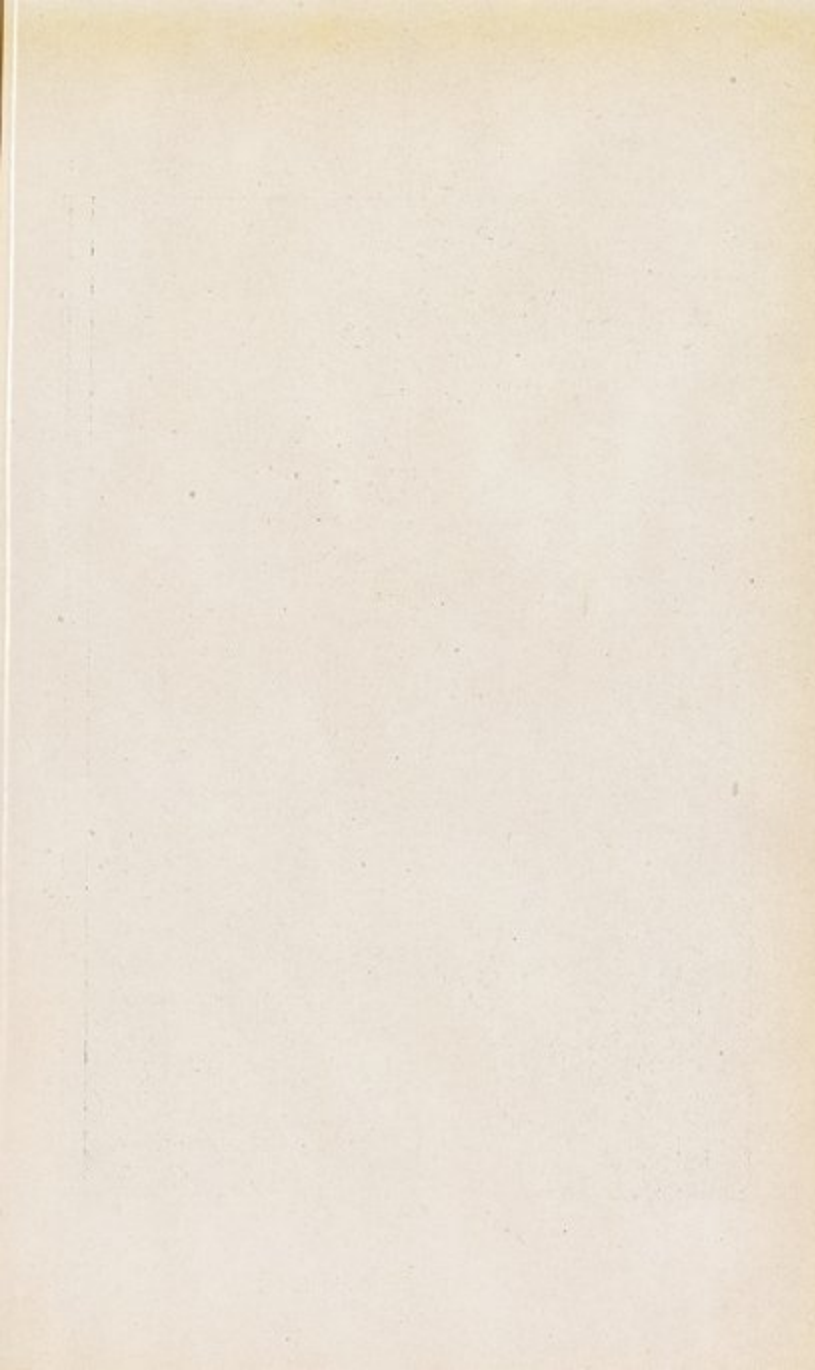
وصل الكماليون إلى تراقيا .

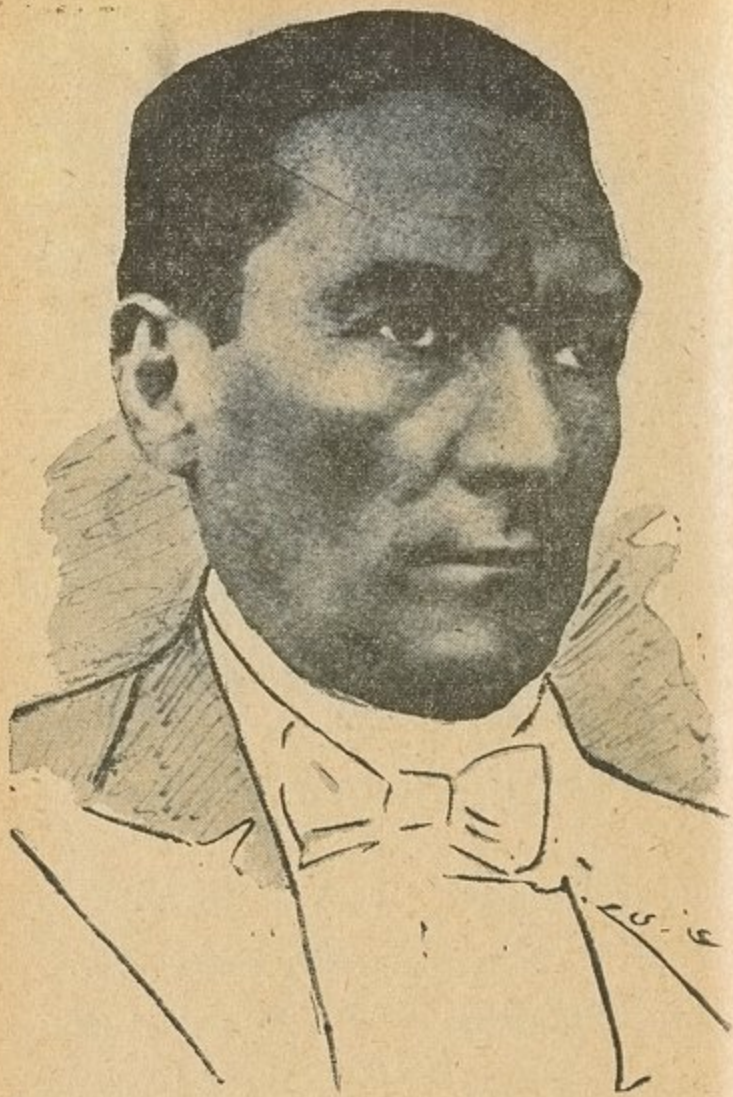
وفي مودانيا وقعت المهدنة . وكان تاريخها ٩ أكتوبر .
وكان نائب الغازي فيها عصمت باشا .

ومنذ ذلك التاريخ لم يبق في تركيا كلها يوناني واحد
وهكذا كانت سقاريا عود المد إلى الارتفاع ، وكان استرداد
ازمير بدء النصر ، وكان الوصول إلى تراقيا النصر الصحيح .
ففي الأخيرة تجلى حنق مصطفى كمال ، وشجاعته وقدرته على
ضبط أعصابه .



نقش الحزف في كوناية وهو من أدق الفنون التركية الجديدة





الغازي مصطفى كمال ويرى إمضاءه بالحروف العربية

ضربات حاسمة

- ١ -

تركيا فقط

أجل انتهى الكفاح المسلح

وكلت هامة البطل بالغار

ولكن ليس يكفي أن يحارب القائد فينتصر ، وإنما لابد أن
يثابر حتى يصون النصر الذي أحرز .

كانت المعارك الحربية في حساب الدولة الجديدة معارك
صغرى ، أما المعركة الكبرى فهي تنظيم الدولة الجديدة ووضع
أساسها .

أقبل النواب يحملون حقائب كلامهم ، وأفرغوها أمام
مصطفى كمال . وتقلب بهم الأمر ، فراحوا يطالبون بالاستمرار في
الحرب حتى تسترد البلاد ما فقدت ، تسترد سوريا والعراق وتعيد

للإمبراطورية العثمانية سالف مجدها . ولكن الغازي أجاب على كل هذا الهراء بخطبة حاسمة في اجتماع المجلس جاء فيها :

« انى لا أؤمن بجامعة اسلامية . بل لا أؤمن بجامعة أمم تركية . ولكل منكم أن يبدى ما يشاء من الآراء ، ولكن الحكومة تعزم عزمها أكيدا على أن تسير وفق سياسية ثابتة وجهتها تأمين حياة الوطن واستقلاله داخل حدوده الطبيعية . ولن تؤثر على سياستنا الحماسة . سنستبعد الأحلام والأشباح إلى الأبد . فقد كلفنا ما تطلبون الكثير فيما مضى من تاريخنا » .

وجاء وفد من موسكو برئاسة القائد الأوكرانى الجنرال فوز . وبعد اقامة حفلة تكريم للزائرين وقف رئيس الوفد الشيوعى وهنأ تركيا على ما أحرزت من نصر ثم دعا حكومتها الجديدة إلى اعتناق مذهب البلشفية والتعاون المذهبي مع موسكو . فوقف مصطفى كمال ورد عليه فى وضوح قائلا : « ليس بين الأفراد فى أى شعب من الشعوب ظالم ومظلوم ، ولكن يوجد هؤلاء الذين يسمحون لأنفسهم بأن يظلموا . وليس بين الأتراك من يسمح لنفسه بأن يظلم . ويستطيع الأتراك أن يرعوا شؤونهم بأنفسهم كما أنهم يسمحون لغيرهم بهذا الذى يريدونه لهم »

لم يرد الغازي أن يتبع حماقات الحق ولا أحلام الخالمين .

لم يفكر في أن يكون بطل الشرق ضد الغرب أو قائد الإسلام ضد المسيحية أو زعيم طبقة ضد طبقة أعلا منها . قال :

« ان لنا مبدءا واحدا . هو أن ننظر إلى كل المشاكل من وجهة النظر التركية . مع رعايه مصالح بلادنا » .

« وغايتنا أن تعيش بلادنا ضمن حدودها أمة صغيرة متماسكة ودولة ناجحة موفقة » .

وكان ايمان مصطفى كمال أن شخصا واحدا يستطيع أن يحقق هذه الغايات هو (مصطفى كمال) .



كان أكثر الساسة والضباط — باستثناء عصمت وفوزى — يرفضون سيطرة مصطفى كمال . وقد استدعاه المؤتمر مرتين إلى أنقره لبحث شروط الصلح وكانت غاية أعضائه الحقيقية أن يضعوه بين أيديهم .

وذات ليلة قالت له خالدة أديب :

— ها نحن أولاء قد وصلنا إلى السلم . وقد كاثت يا باشا كفاحا هائلا . ومن حقلك أن تستريح .
فصاح فيها :

استريح .. كيف؟ .. لقد تخلصنا من اليونانيين . وسيحارب
بعضنا بعضا . ويأكل فريق منا الفريق الآخر .
فسأله :

« ولماذا ؟ » فأجابها :

— ماذا أصنع بالرجال الذين يعارضوننى . سيختلطون بالشعب
ويألبونه على . وسيقتل بعضنا بعضا . ولكن بعد أن تنتهى هذه
المعركة . سنعود إلى الحمول من جديد ولا بد لنا من البحث عن
مغامرة أخرى .

أرسل إلى أنقره بأنه لن يعود لأن لديه عملا فى أزمير فجاءه
رؤوف رئيس الوزارة وعدد من الساسة يستطلعون آراءه . ماذا
يكون الموقف : ففى أنقره تقوم الحكومة الوطنية الاقليمية وفى
الأسستانة تقوم حكومة السلطان ووزرائه . وجمهرة الأتراك
تميل إلى أن يتفق الطرفان بأن يتولى مصطفى كمال رئاسة الوزارة
متعاوناً مع السلطان .

ترى ماذا يكون رأى مصطفى كمال فى هذه العروض ؟
أبقى رأيه ووافق على أن يصحب هذا الوفد إلى أنقره



وهناك في أنقره جلس أصحاب الأسماء التي ورد ذكرها في هذا الكتاب وكان بعضهم مثل رأفت ورؤوف يعرفون آراءه . فقد سبق أن تحدث بها وهو في طريقه إلى الأناضول
سأل رؤوف :

— يذكر البعض أنك تنوى إلغاء السلطنة والخلافة فهل هذا صحيح يا باشا ؟

فلم يتردد مصطفى كمال بل أجاب :
— أحب أن أعرف آراءكم أولا .

فأجاب رؤوف :

— لقد أكل أسلافي كما أكلت أنا خبز السلطان وملحه .
ولست أتكلم عن وحيد الدين بالذات ، ولا هؤلاء الخائنين الذين يجلسون على العرش . يجب أن يخلع وحيد وأن يخلفه آخر ولكن لا شك أنني أنا وكل تركي ندين بالولاء لعرش الخلافة والسلطنة .
ولا جدال في أن الدولة تحتاج إلى فرد تعلو رأسه جميع الرؤوس ولا يستطيع أن يطمع أحد في منصبه .

ووافق رأفت على رأيه ووقف على فؤاد مترددا لأنه قدم من موسكو حديثا ولم يكن يعلم تطورات الموقف .. وبذا وجد مصطفى كمال الوقت لم يحن بعد فقال :

— لست ارى داعيا لبحث هذا الموضوع
فلما أصر رؤوف على أن يعرف رأيه القاطع قال :
— لست أفكر في مثل هذه النوايا التي تتحدث عنها . وعلى
كل حال سأدلى بتصريح في هذا الموضوع في جلسة الغد .
كانت المعارضة أقوى مما تخيل مصطفى كمال ولذا قرر أن
يسير ببطء .

ذهب إلى المجلس للمرة الأولى بعد انتهاء الحرب وبعد أن هدأ
زئير التصفيق وقف وقال للنواب ان السلطنة شيء والخلافة شيء
آخر ولا بد من الفصل بينهما والغاء الأولى بعد خلع وحيد
وكان هذا القول بمثابة ألواح الثلج سقطت على النواب فقد
وجموا وصمتوا وبردوا بعد طول الضجيج والحرارة . وأحيل
الموضوع على لجنة القانون (الحقانية) فاجتمعت في اليوم التالي
وأخذ شيوخها من رجال الدين يطلبون الكتب والمراجع ليروا
إذا كان يجوز شرعا فصل السلطة الزمنية عن السلطة الدينية
وطال الاجتماع وطال البحث وضجر مصطفى كمال من طول
الانتظار فاقترح القاعة ووقف على المنضدة وصاح في الأعضاء :
« أيها السادة : لقد اغتصبت السلطنة العثمانية السلطة من
الشعب ومن حق الشعب أن يستردها ويفصل بين السلطنة والخلافة .
ويجب عليكم أن توافقوا على هذا القرار وإلا كلفتكم المعارضة
ثمنا غاليا هو .. رؤوسكم »

وهنا ارتجف الأعضاء واصفرت ألوانهم . وتمكن رئيس اللجنة من أن يتكلم فقال :

« لقد فصل لنا الغازى المشكلة لأنه تناولها من وجهة نظر غير التى سرنا فيها أول الأمر »

وما أسرع ماهز الأعضاء المحترمون رؤوسهم علامة الموافقة .. والتأم المجلس فورا .. وأدرك مصطفى أن شعور الأعضاء ليس معه فجمع من حوله أنصاره . ووقف خطيبا ، وقال إنى واثق أن المجلس سيوافق (بالاجماع) على رأى اللجنة ثم صوب للأعضاء نظرات من نار وقال : يؤخذ الرأى برفع الأيدى

وما أسرع ما قال الرئيس : « موافقون بالاجماع »

فوثب اثنا عشر نائبا وصاحوا : « هذا كذب .. نحن لم نوافق » وإذا بهم يفرقون فى لجنة من الصخب « اجلسوا .. صممتا أيها الحنازير الخ »

وإذا بمصطفى كمال يتلو القرار وهو :

« وافق المجلس الوطنى الكبير على إلغاء السلطنة من تركيا »

ثم رفع الجلسة وغادر المجلس محوطا بأتباعه

وبعد خمسة أيام كان رأفت ينفذ القرار أمام سماع الدنيا وبصرها .

وكان وحيد الدين ينظر إلى حلفائه فى ضراعة ، ولكن لا مغيث

وبعد يومين كانت عربية من عربات الاسعاف الانجليزية

تنقل السلطان وابنه وبعض المتاع

ونصب مكانه عبد المجيد خليفة للمسلمين مجردا من كل سلطة زمنية .

في مؤتمر الصلح

كان من عادة مصطفى كمال أن يستعد استعدادا كاملا ويفكر في كل ما يعرض له بهدوء وببطء ، ثم يضرب ضربته الحاسمة . فقد فاجأ السلطان والسلطنة قبل أن يستعد أحد للمقاومة وتخلص منهما . وعليه أن يفكر مرة أخرى في الخطوة التالية .

ورأى من الخير أن يتعاون مع رؤوف فهو الشخصية القوية في المجلس ، ولكن خشى إن هو مكن له لكي يكون رئيس وزارة في الحكومة القادمة أن يطغى نفوذه ، ومصطفى كمال تواق إلى التفرد بالأمر .

وكان الجيش معه . ولكن قد ينسى الجنود تحت ضغط الفقر والحاجة انتصارات قائدهم الكبير . وإذن لا بد له من قوة أخرى يعتمد عليها . وهي أن ينشئ حزبا سياسيا يتبعه .

وأدرك أن من الممكن الاستفادة من الجمعيات التي تألفت منذ

سنة ١٩١٩ لمقاومة المحتلين وتحويلها إلى الحزب الذي يريد .
لم يتردد وأخذ يطوف بالبلاد ويخطب فيها مبشرا بحزب الشعب
الذي نصب نفسه رئيسا له . وقد قوبل بالترحاب والبشر في كل
مكان . أليس هو الغازي الذي أنقذ البلاد ؟

وفي هذا الوقت كان مؤتمر لوزان منعقدا (٢٨ أكتوبر
سنة ١٩٢٢) وكان مصطفى كمال قد أوفد عصمت لحضوره ،
ورؤوف رئيس الوزراء وبقية الوزراء يجهلون كل مايجرى في لوزان .
وكان لورد كرزون متعنتا عنيدا . وكان عصمت لا يقل عنه
اصرا على آرائه .

وظل المؤتمر إلى شهر فبراير دون أن يصل أحد الطرفين إلى
نتيجة ، وعاد عصمت إلى أنقره . وهناك في اسكى شهر كان
مصطفى كمال في استقبال مندوبه . ورفض رؤوف أن يستقبل
القادم . فخنق الغازي وأرسل يستدعى رئيس الوزارة ويطلب منه
إيضاحا فقال رؤوف : إن إيفاد عصمت كان بدون استشارته ، وإنه
احتجاجا على هذا العمل يقدم استقالته .

وقاد رؤوف في المجلس حملة قاسية ظاهره فيها بعض النواب ،
فقد جرحوا ماعملوا وأنكروا كل فضل ، ورأوا الغازي وقائده
مقصرين في كل شيء . فكان واجبا أن يرفض الصلح مع

اليونانيين ، وكان واجبا أن يسير الجيش لاحتلال الأستانة ثم احتلال أثينا .



وإزاء هذه الموجة العاتية ، أرسل مصطفى كمال مندوبه مرة أخرى إلى لوزان وزوده بتعليمات صارمة ليحصل على أحسن شروط للصلح .

ثم عاد مصطفى كمال إلى تنظيم حزبه الجديد . فقد كان يعمل منفردا ، وبقية الزعماء ضده . . مثل رحى وعدنان وكاظم قره بكير ورأفت وعلى فؤاد ونور الدين ، ولم يكن معه غير صاحبيه عصمت وفوزى .

زادت قوة رؤوف وأخذ النواب الكماليون يتركون معسكر زعيمهم واحدا بعد واحد وينضمون إلى خصمه .

وتصادف في هذه الفترة العصيبة أن سافر خصومه الأقوياء الأربعة رؤوف وكاظم وعلى فؤاد ونور الدين في رحلة تاركين أنقره . فانتهر مصطفى كمال الفرصة ودعا الوزراء وقال لهم لابد من أن تثبت للمجلس أن البلاد لا يمكن أن تحكم هكذا . إذ ينبغي أن يحكم الوزراء ، فلا تحول ثروة البرلمانيين دون أداء واجبهم . وإنى أريد منكم في جلسة الغد أن تستقيلاوا ثم أطلب من المجلس

أن يؤلف وزارة جديدة . وعلى كل منكم أن يرفض العودة إلى العمل وأن يرفض أى حل يعرض لتفريج الأزمة ، فاذا تعذر على المجلس تأليف وزارة فستعودون ومعكم كل السلطة للعمل .



وفي اليوم التالى استقال الوزراء ، وظل المجلس يختصم يومين كاملين . وفي وسط هذا الخصام المستمر أوعز الغازى إلى أحد أعوانه أن يقترح على المجلس تدخل مصطفى كمال . فوافق المجلس ، ولما أرسل يستدعيه اعتذر . فلما ألح اشترط أن يقبل رأيه دون مناقشة .



الجمهورية والخلافة

وقبل المجلس .. ووقف مصطفى كمال في النواب خطيبا وقال:
لقد أرسلتم تستدعونني لحل هذا الاشكال الذي تسببتم فيه .
والواقع انكم انتم الذين تخلقون المتاعب لوجود خطأ أساسى في
نظام الحكومة . فهذا المجلس يملك بين يديه سلطة التشريع
وسلطة التنفيذ ، وبذا يرى كل عضو منكم لنفسه الحق في أن
يدس أنفه في كل عمل ، ويبدى رأيه في كل قرار يتخذه الوزراء .
ويستحيل على أى وزير أن يستمر في منصبه والحالة كما هي
الآن . كما يستحيل أن توجد حكومة هذا نظامها . . وليست
لدينا الآن حكومة ، ولكن هي الفوضى بعينها . .
لا بد من تغيير النظام . وقد قررت أن تتحول تركيا إلى
جمهورية ولها رئيس .
وقد فوجئ المجلس بهذا القرار . وكان قد قبل أن يوافق

على كل رأى يبديه . وإذن فلا سبيل « للكلام » يقال . فقد نفذ الأمر .

ثم عرض الاقتراح على الأعضاء لابداء آرائهم ، موقعا من مصطفى كمال وعصمت -الذى عاد من لوزان وقد فاز فوزا ميينا- ووافق النواب وهم ذاهلون وامتنع اربعون عن إبداء الرأى . وهكذا أصبح مصطفى كمال رئيسا للجمهورية ورئيسا لأركان حرب الجيش ورئيسا لحزب الشعب .
وكان هذا فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٣ .



كتب عبد المجيد خليفة الأستانة إلى مصطفى كمال يطلب زيادة مخصصاته فرد عليه (رئيس الجمهورية) يقول :
« إن منصب الخلافة لا يزيد الآن عن أن يكون أثرا تاريخيا ليس له حق شرعى يسوغ له البقاء . وإنه لمن السخف أن تكتب لواحد من رجال سكرتارى فى طلب كهذا » .
لم يكن عبد المجيد رجل تدبير . ولم تكن له مطامع . . إلا أن المعارضة للنظام الحاضر بدأت تتخذة محورا لحركتها . فالتصق به رؤوف وعدنان ورأفت وكاظم قره بكير . وكانت خطتهم إعادة السلطة الزمنية الدستورية للخليفة وجعله سلطانا على الأتراك .

وهكذا وضع الرجل في جبهة معركة لم يدر رحاها . بل لم يرغب فيها وانهز سيد أنقره هذه الفرصة . فأخذت لجان حزب الشعب تبث الدعاية ضد الخلافة نفسها .

وأراد مصطفى كمال أن يستوثق من أن الأرض ثابتة تحت قدميه ولم تكن من غيره شيئا مذكورا . ففي أثناء المناورات السنوية بالقرب من أزمير تحدث مع عصمت وفوزى في أمر الخلافة ووجوب إلغائها . واتصل بالضباط ، وجس نبضهم وظل طول لياليه يتكلم ويتكلم ، وفجأة قرر أن يعمل .

وفي ٢٣ مارس سنة ١٩٢٤ قدم للمجلس اقتراحا بإلغاء الخلافة ثم خطب في النواب خطبة من نار يحتم عليهم فيها وجوب الرضوخ لرأيه لأن الجمهورية في خطر . وفي ساعة واحدة صدر قرار المجلس بالموافقة وصدر الأمر لحاكم الأستانة بأن يخرج عبد المجيد من البلاد . وقبل طلوع فجر اليوم الجديد كان آخر خلفاء آل عثمان وظل الله على الأرض يغادر المياه التركية إلى غير رجعة .

و بعد يومين لحقه كل أمراء عثمان .
وهكذا انتصر الذئب الأغبر مرة أخرى .

عهد جديد

- ١ -

زوابع

فرض مصطفى كمال نفسه على تركيا على الرغم من أنف أعدائه السياسيين ، ولذا امتنع عن الاختلاط بالجمهير ، كما كان يصنع . وحاول أن يقي نفسه من مؤامرات الخصوم . ومع هذا أُلقيت عليه قنبلة ، ودس له السم في طعامه وقد نجا من الحادث الأول ، وقاوم تأثير السم في الحادث الثاني بانهما كه الشديد في العمل . وكان ينتظر أن تهب عليه العاصفة بين حين وآخر . فقد خرجت البلاد من سنوات الصراع هزيلة فقيرة تلبس بدل الثياب أسهالا . واستغل رؤوف وجماعته هذا السخط وأخذوا يذكون نارهم مستعينين برجال الدين .

كانوا يقولون للاتراك : ماذا صنعت لكم الحكومة الكمالية ؟ مدت خطوطا حديدية لنقل الجنود . حولت أنقره إلى عاصمة



في معهد عصمت باشا للبنات يتعلم الفتيات تفصيل الازياء

وأخذت تشيد فيها المباني . زادت مرتبات رجالها . انهمكت طول الوقت في الدعاية ، وفي اصدار القوانين الماحقة لتقاليدنا التي تركها لنا الآباء ذخراً مقدساً .

ماذا جنى الشعب من كل هذا ؟ لا يستطيع الناس أن يعيشوا على الانصارات القديمة . ولا أن يقاتلوا بالدعايات مهما تنوعت . الناس في حاجة إلى الخبز والقمح والماشية ، ومشاريع الري والنقود التي تجدد بها القرى . . الخ .

زاد السخط وقويت المعارضة في المجلس . وشجع كل هذا انخفاض سعر العملة التركية . ولم يكن عصمت برجل الاقتصاد البارع حتى يعالج كرئيس وزارة هذه الحالة . وقد طرد اليهود والأرمن وهم رجال المال ورفضت الحكومة أن تتعاون مع جاويد الوزير اليهودي السابق .

وعم الاستياء من عصمت في كل مكان ، وحمى وطيس الجدل بين صحف أنقره وصحف الاستانة ، وأظلم الجو .

ومع هذا ظل مصطفى كمال هادئاً ساكناً كما نتما البراكين لا تنوشك أن تثور من حوله ، وفجأة حدثت سلسلة من الحوادث أذهلت متتبعيها . فقد وصفت الصحف الخارجيين على مصطفى كمال بأنهم ذبول السلطنة السابقة ولقبوا بالخونة . وفي اليوم التالي كانت المسدسات ترد على المعارضة . فقد أصيب ضابط من أعضاء المجلس الوطني برصاصة أردته قتيلاً أمام رئيس المجلس نفسه . وكذلك صرع

على شكرى لأنه هاجم مصطفى كمال فى لهجة عنيفه . وإزاء هذه الحوادث دبر هجوم على بيت الزعيم . وقتل رئيس حرسه عثمان أغا ونجا هو فى اللحظة الأخيرة من الاغتيال .

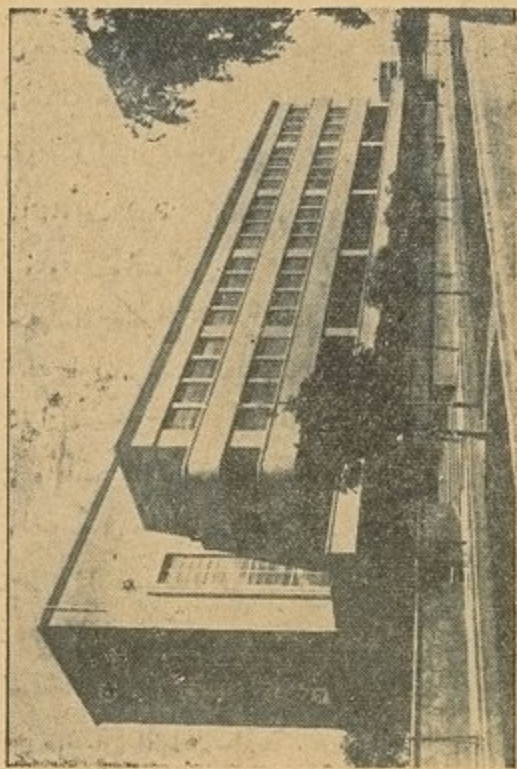
وزاد الأمر حرجا ثورة الأكراد ضد حكومة أنقره وتأيدهم للسلطنة الملقاة . وهنا لم يجد مصطفى بدا من أن يتحرك . ترك عزلته ورفقائه ونزل إلى ميدان العمل فأحست البلاد بأن يدا أقوى من يد الوزراء هى التى تعمل . سير الجند وأصدر الأمر . وكان قاسيا فى قمع الثورة . وفى ديار بكر نصبت المشانق وتعلق على أعوادها ستة واربعون زعيما من الأكراد كان آخرهم الشيخ سعيد .



وجاء دور المعارضين فى المجلس الوطنى وفى الجيش . وأحس بعضهم بالخطر المنتظر فغادروا تركيا ومنهم رؤوف ورحمى وعدنان وخالده أديب . ولكن هذا لا يكفى فقد تسممت العقول ولا بد من تطهير البلاد ..

أعد مصطفى كمال قانونا يوقف به الدستور ويتولى هو جميع السلطات حتى ينقذ الوطن من خطر فى الخارج هو مؤامرات الدول ومن خطر فى الداخل هو مؤامرات المعارضين . فعارض أكثر أنصاره حتى فتحى رئيس وزرائه فضايق بهم جميعا . وأخرج فتحى وأعاد عصمت إلى الرئاسة

مدرسة عصمت باشا للبنات بأفقره



وإذا كان الزعماء قد أسكتوا ، فلا يزال لهم أتباع . قدموا إلى
محاکمات سريعة ، ودارت الطاحون شديدة تقتل وتسجن وتعذب .
وهكذا فرض الذئب الأغبر نفسه .

كان مقتنعا بأنه لا يظلم على الرغم من هذا كله . فقد كانت
ترکيا في حسابه هي مصطفى کمال ، وسقوطه أو الحشد من نفوذه
معناه سقوط ترکيا أو إضعافها .

وفي أثناء الاستعداد لزيارة يقوم بها في أزمير اكتشفت مؤامرة
لاغتياله ، وقبض البوليس على كل من اشتبه فيه ، وقدمت له
قائمة بأسماء المتهمين ليوقع على قرار إعدامهم . وكان من بين القائمة
اسم صديقه عارف . زميله القديم ، وقسيمه في سرائه وضرائه .
الذي اشترك معه في أسوأ أيام الحرب الاستقلالية ورافقه في
سمسون وأماسيا وأرضروم . وحكم عليه السلطان بالاعدام ،
وتعرض للموت في سقاريا ، والذي اشترك معه على مائدة شرايه
ولعبه . مر على الاسم بقلمه فلم يتراجع القلم ، ولم يبد عليه أنه
يعرفه . وقع القرار في هدوء عجيب ، ثم انتقل بقلمه إلى الورقة
التالية ليوقعها .

وكان من بين المتهمين جاويد رجل المال اليهودي المعروف
حكم عليه بالاعدام . فاضطرب العالم اليهودي لهذا الحكم .. واتصلت
هياتهم وأفرادهم الأقوياء بحكومات انجلترا وفرنسا وأمريكا

للتدخل . وفزعت جمعيات الماسون ، وكثرت زيارات السفراء
وطلبهم العفو عن جاويد

فكان رد مصطفى كمال على هذا كله أن دعا إلى حفلة راقصة
اجتمع فيها كل رجال السلك السياسي الأجنبي وظلت الموسيقى
تعزف ، ومصطفى كمال يحمس الرجال والنساء للرقص ويكرعون
جميعا كؤوس الخمر ، ولم يأذن بفض الحفل إلا قبيل الفجر
وعند انصراف المدعوين روعوا بمشاهدة المشائق منضوبة
في طريقهم وجاويد مع المحكوم عليهم معلق على عود من أعوادها.
نظر مصطفى كمال من النافذة ورأى عن بعد جثة صديقه عارف
تهتز مع الهواء فنفخ نفسا من سيجارته ثم أغلق النافذة في هدوء
وزهد إلى الفراش وكانت أضواء النهار قد بدأت تعم كل مكان .
كشع الذئب الأغبر عن أنيابه فبدت قاطعة مخيفة ثم وثب
وثبته فوصل إلى ما يريد .. إلى كل ما يريد .

- ٢ -

هرم وبناء

ونظر إلى تركيا وقال :

« ليست هذه هي تركيا التي أعرفها وإنما هذه بلاد في ثياب
السلطنة والخلافة والمدنية الشرقية الإسلامية ..
أما تركيا التي أعرفها فهي التي لا تتعصب لشيء .. الأتراك

الذين دفعتهم الى غاليبولى وسقاريا هم الأتراك الذين أقاموا فى أواسط آسيا ، إنهم كانوا هناك فى مراعيهم وسط خيولهم وخيامهم يطيعون زعيم قبيلتهم طاعة عمياء . وإنهم الآن كما كانوا تغيرت منهم القشور وبقى جوهرهم على فطرته . سأزيل هذه القشور لأصبح فى نظرهم زعيم القبيلة الأكبر

«وعندما أزيلها وأعود بأبناء وطنى إلى طبيعتهم الأولى سيظهر دعاة التعصب والثورة حاملين ألوية الرجعية فأضرب عليهم بيد من حديد وأعوهم من عالم الوجود ثم أعود إلى قومي لأصلح من شأنهم بالمنطق حيناً وبالحديد والنار أحياناً ، حتى أمهد تنوءه ، وأوحد أزياءه ، وأهذب عقائده ونقافته ، وعقوله وأقضى على تلك الدولة فى داخل الدولة (يعنى رجال الدين) ثم أقذف به فى تيار الحياة الصاخب ليكافح وحده ، ويثبت للطبيعة أنه جدير بالبقاء »

هذا ملخص البرنامج كما نقله كتاب كمال أتاتورك عن مصطفى كمال ونحن بدورنا نلخص ما تم من هدم وبناء على النحو الآتى :

أولاً — فى أول سبتمبر سنة ١٩٢٥ أمر مصطفى كمال الجنود ورجال البوليس والبحرية بأن يخلعوا القلبيق ويلبسوا القبعة . فتم هذا بدون معارضة ، ثم وقف أمام الجماهير خطيباً وقال : « اللباس الدولى الذى تلبسه الشعوب المتقدمة يناسبنا تماماً . سنلبس الجورب والحذاء والسروال والقميص والصدريّة ورباط

الرقبة . وسنلبس الردنجات والجاكتة والسموكنج والفراك وإذا كان فيكم من يعارض في هذا قلت له في وجهه إنه غبي وجاهل ثم تقدم قانون للمجلس الوطني بفرض هذا الزي فمروا وعارض المعارضون ، فنصبت المشانق . وما أن علم الشعب أن الزعيم الحاكم مصرّ حتى اندفع نحو ما يريد . وقد ذكرار مسترنج أن جمعا من الفلاحين في أزمير لم يجدوا قبعات يلبسونها ، ولكنهم عاموا أن أرمنيا كان يبيع القبعات وهرب من البلاد ، فخطموا الباب ، ووجدوا أكثر من مائة قبعة اقتسموها ولبسوها ولكنها كانت من قبعات النساء !

ثانياً — ألغى التكايا والأوقاف وقضى على خزعبلات الدراويش وسخافات أصحاب الطرق وشعوذتهم . وأقام في دورهم وبأموالهم المدارس والمتاحف . وحذف من الدستور النص على أن الإسلام هو دين الدولة تاركا التدين للأفراد

ثالثاً — مزق عن المرأة الحجاب . ودفعها إلى المدرسة ثم إلى السينما ، ثم إلى المراقص ثم إلى المجتمع . وتم هذا بإرادة من حديد فلا معارض وكل من يجزؤ على المعارضة يلقى جزاءه .

رابعا — في الأستانة حيث زارها أول مرة عام ١٩٢٨ بعد الحرب قام بدعوته الجديدة . وهى إبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية . وبدأ هو فكان المعلم الأول للشعب . في إحدى يديه طباشير . وفي الأخرى مسدس فتم له ما أراد .

ثم انقض على اللغة التركية نفسها فأمر بأن تكون تركية خالصة من الدخيل العربي والفارسي

خامسا — وعمد إلى « تترك » كل شيء في تركيا فلا معاملات ولا كتابات إلا بالتركية . وعلى الشركات أن توظف الأتراك فيها بنسبة عالية جدا وإلا تغادر البلاد . وعلى المدارس الدينية الأجنبية أن تلغى أزياء التبشير وأن تتحول إلى معاهد خاضعة لرقابة الحكومة الفعلية وكذلك جميع الرسائل العالمية الأجنبية تنهج هذا النهج .

سادسا — وينتهي به طوافه عند الألقاب والأسماء . فيلغى الأولى . ويعدل الثانية فيسمى الرجل باسم أسرته . وتسمى الأسرة باسم شيء يمت إليها فهو أئاتورك أى أبو الأتراك ورئيس وزارته اينونو وهو مكان أول معركة فاز فيها عصمت .

وتغير اسم العاصمة فأصبح استانبول . وكل رسالة تحمل الاسم القديم لا تسلمها مصلحة البريد .

سابعا — ثم يثور على الأمية فيفرض مدة معينة تزول على أثرها ويجند كل متعلم في البلاد وعلى الأخص لجان حزبه لتعليم الأميين .

كمال أتاتورك

- ١ -

الابن والزوج

ذكرنا في فصول الكتاب الماضية الشيء الكثير عن حياة حاكم الأتراك ، ولكننا لم نعرض في شيء من التفصيل إلى كثير من نزعاته الخاصة .

فما يذكر عنه أن أمه كانت السيدة الوحيدة التي أخلص لها طول حياتها . فقد حرص دائماً على أن يمنحها حبه ، وأن يفوز بعطفها وإن كانت صلته بها لم تحل دون أن يمضي في أي عمل من أعماله وقد علم عنه أنه عندما كان في طرابلس وعلم بثورة اليونان عجل بالعودة لكي يرى أمه التي كانت بها . فلما وجد أنها قاست مرارة الأسر أنقذها وزاد حنقه على اليونانيين . وكان في حربه لهم ينتقم لنفسه كما ينتقم لوطنه ولم ينس أبداً ما حدث لأمه في سالونيك . وقد حرص بعد أن غادر الأستانة على أن تكون

معه في منزله المختار بضاحية قريبة من أنقره اسمها شنكيا . وقد تقدم بها العمر ففقدت حاسة البصر . وكانت متعتها الكبرى أن تسمع من الاسرى اليونانيين أخبار سالونيك ، وتلك القرية الألبانية الصغيرة التي ولدت فيها . وقليلًا ما كانت تتدخل في السياسة . وحدث مرة واحدة أن علمت بأمر رؤوف والمعارضين معه ، فارت واحتدت ووصفتهم بأنهم خنازير وطلبت من ابنها أن يسلمهم جلودهم .

وكانت ترجو أن يتزوج ابنها حتى يخلص البيت من متاعب «فكرية» . التي كانت تدير البيت ولا تكف عن إثارة الضوضاء وإدامة الشكوى من الخدم .

وحدث أثناء الحرب الاستقلالية ، بعد أن انتصر مصطفى كمال في معركة سقاريا أن قدمت إلى المعسكر فتاة ترتدى الزي الأوربي وطلبت مقابلة القائد العام فسمح لها ، فلما رآها دهش من رقتها مع احتشامها وجمال منظرها وحسن حديثها . قالت له : إنها تسمى «لطيفة» وهي ابنة تاجر في أزمير أرسلها إلى أوروبا فتعلمت . وقدمت حديثا إلى البلاد . وإنها لمناسبة وجود القائد العام قرب دارها في برنوفو تدعوه مع قواده للإقامة عندها حيث يجدون الراحة .

لبي مصطفى كمال الطلب وذهب إلى منزل لطيفة . وبعد إقامة

المأدبة الأولى فضل مصطفى أن يقيم وحده وأعاد قواده إلى معسكرهم .
ووجدوها فتاة عجيبة وسيمة الطلعة مهذبة الى أبعد حد . متمسكة
بالخلق الكريم . كانت تجالسه وتتبسط معه كأخت ، وكانت مصرة
على أن تكون صلتها به صلة أخت فقط . فلما كاشفها بحبه ذات
ليلة ، وأضواء الحرائق التي أشعلت في منازل الأعداء تضيء الشرفة
قالت له : دونك والزواج ، فغضب وخرج ولم يعد .

ومضت شهور . وبينما كانت لطيفة تغادر فراشها في الصباح
البسا كر إذا بها تسمع جلبة شديدة ، وإذا بمصطفى كال يصعد
السلام ركضا ويقول لها صائحا :

— هيا . . هيا . اسرعى فسنزوجه فورا . .

فلما أرادت أن تقول شيئا قطع عليها الحديث بضجيجيه وصياحه
وفي لحظات كان في الطريق يترصد لأول شيخ من هؤلاء الرجال
ذوى اللحى ، فما أن مر حتى اختطفه في سيارته اختطافا ، والرجل
يكاد يخن رعبا .

و بعد قليل كانت لطيفة زوجة لمصطفى كال . وكانت السيارة
تنهب بهما الطريق الى أنقره . ووجد بيته الريفى سيدته الجديدة
بعد أن رحلت عنه « فكريه » للاستشفاء فى أوربا .

و بعد أن أقامت معه ومع أمه سنتين أى الى عام ١٩٢٥ شعرت
السيدة زبيدة بوطأة الجو وعدم ملاءمته لصحتها ، فانتقلت معها

« لطيفة » إلى أزمير ، ولكن المرض لم يمهل الأم فماتت .
وهكذا اختفت من حياة الزعيم السيدة الوحيدة التي كان
يصغى لكل ما تقول ويحتمل منها كل نقد ويحبها من كل نفسه
ويدلى لها بكل سره . لم تكن تعنى بنجاحه ولكن كانت تعنى بمتاعبه .
كانت تحبه ، ففقدتها .

أما « لطيفة » فقد عاشت الشهور الأولى في نعيم . جن بها زوجها
جنونا ، ووقفت بجانبه كأبسل ما تكون الزوجة ، وأرحم ما تكون المرأة .
ولكن مع مضي الزمن بدأا يختلفان ، فلم تكن تعجبها بعض
آرائه السياسية ولا خططه . وكانت تميل إلى المعارضة أحيانا ، وذاعت
معارضتها له بين الناس وأخرج هو من تدخلها في عمله .
وجأة أصدر قرارا بطلاقها منه ، ووقعه ، وأرسل صوراً منه
للمجلس الوطني والسفارات والصحف ، وطلب منها أن تغادر شنكاي
فوراً ، ثم عاد إلى حياته الأولى يحياها كما يريد . وقال :
« إنني أحب دائماً أن أعيش وحيداً . أريد أن أكون حراً
وأحيا الحياة التي أريدها » .

— ٢ —

الحاكم والمحكوم

في سنة ١٩٣٠ اشتد الضغط على وزارة عصمت ، وأرسل

فتحى رئيس الوزارة السابق ، وسفير تركيا فى باريس إذ ذاك [وفى لندن فيما بعد] تقريراً مسهباً لآثار ترك ينتقد فيه بشدة حكومة عصمت ، ويقترح أن تشجع العناصر المختلفة فى المجلس ، وطنى وغيره لكى تنتقد الحكومة وترشدها .

وأراد الزعيم أن يجرى هذه التجربة فأرسل إلى فتحى ليحضر ويبحث معه مشروعه ثم استدعى عصمت وتدارس الجميع فكرة إنشاء حزب معارض ، يتولى فتحى رياسته ، لكى يوجد نوعاً من التوازن السياسى فى البلاد ، ولم يستأ عصمت من الفكرة . وشرع فتحى فى العمل فذهب مع بعض النواب إلى أزمير ليلقى خطبة سياسية ، ولكن الجمهور قابله بالاستنكار ، فهذا شئ لم يتعوده ، ويخشى إن هو سائره أن يبطش به الزعيم ، ولكن كم كانت الدهشة عظيمة حين ظهر أن مصطفى كمال لا يعارض فى وجود المعارضة .

أنشأ فتحى حزباً وبدأ يعمل فى المجلس . وكانت الخطة المتفق عليها أن يلقي على النواب خطبة ينتقد فيها عصمت ، فيرد عليه رئيس الوزارة وحضرت الخطب وراجعها مصطفى كمال ، وعقدت الجلسة ثم بدأ التمثيل . وما أن انتهى الزعيمان فتحى وعصمت حتى ثار النواب واشتدت الخصومة وتعذر ضبط النظام ، كل هذا ، والدئب الأغبر جالس يراقب .

ولم يكن هناك بد بعد أن أخرجت المسدسات لتتولى المناقشة بدل الألسنة من رفع الجلسة . ولكن استؤنفت الخصومات في القهاوى والطرقات ، وانتشر نبأ إباحة المعارضة في تركيا بما ذكر في الصحف .

وإذا بتركيا كلها تختلف وتختصم .

ولم يجد مصطفى كمال بدا من أن يهدىء الحال ، والطريقة مفهومة ، فبضربات سرعات هنا وهناك ، فطنت تركيا إلى أن الزعيم الجبار يريد . فهرب المعارضون ، وعلى رأسهم فتحى ، وسكنت البلاد من جديد .

وقرر كمال أتانورك الانتظار خمسة عشر عاما ثم الشروع مرة أخرى في تجربة جديدة كهذه . ولكن القدر لم يمهله لإتمام التجربة إذ تولى عن الحياة بعدها بتسع سنوات



تاريخ الأتراك في سطور

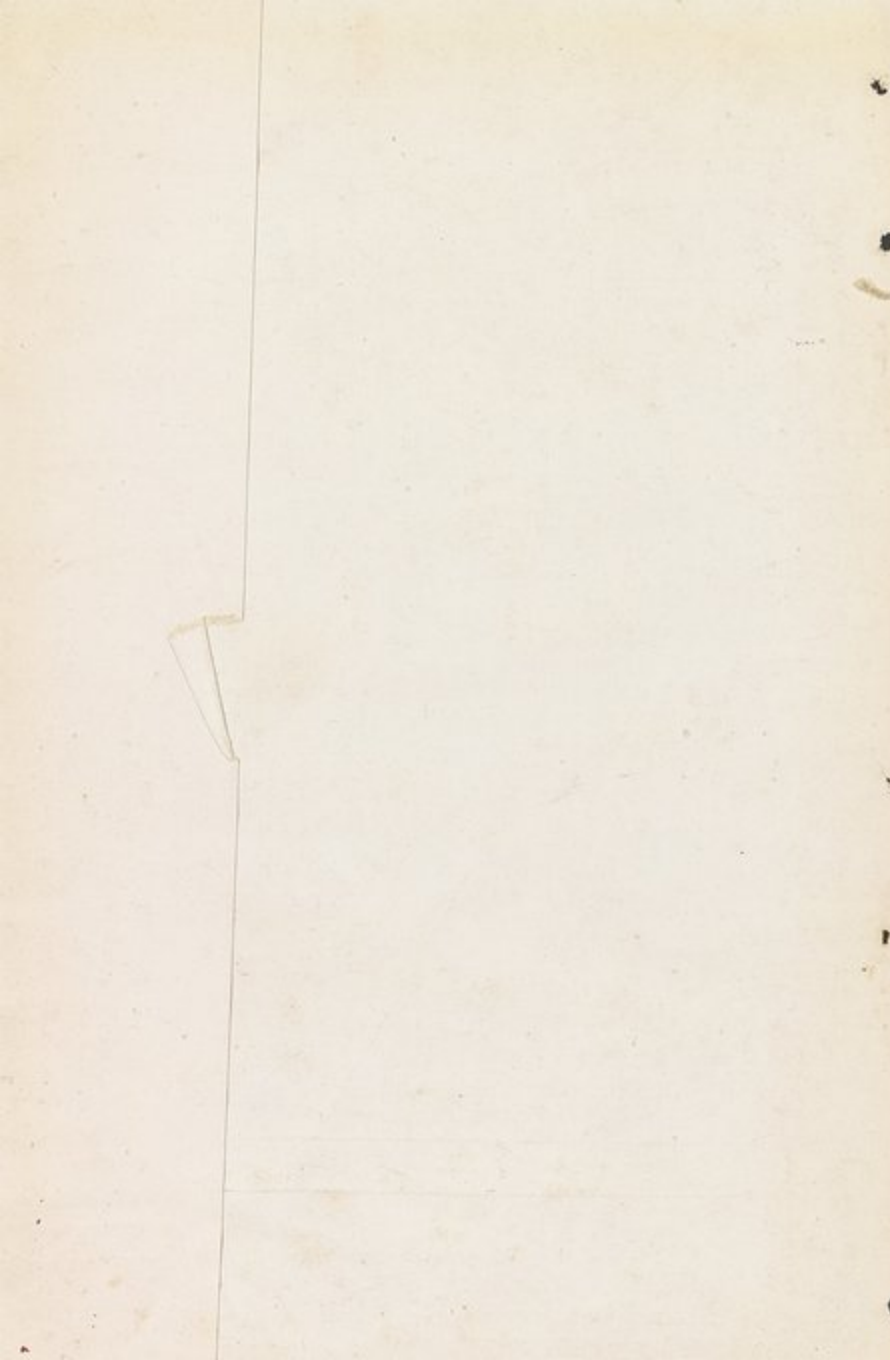
السنة	الشهر	الحادث
١٨٧٦	—	حكم عبد الحميد الثاني
١٨٨١	—	ميلاد مصطفى كمال في سالونيك
١٩٠٣	—	التحاق مصطفى كمال بالمدرسة الحربية
١٩٠٦	—	بدء حركة جمعية الاتحاد والترقي في سالونيك
١٩٠٨	—	التحاق مصطفى كمال بالجيش الثالث
—	—	ثورة جمعية الاتحاد والترقي
١٩٠٩	—	عزيز المصري يسقط عبد الحميد
١٩١١	أكتوبر	بدء الحرب في طرابلس بين إيطاليا وتركيا
١٩١٥	٨ أغسطس	مصطفى كمال يتولى القيادة في جبهة أنافطه
١٩١٢	—	نقل مصطفى كمال إلى القوقاز واستقالته
١٩١٧	—	سفر مصطفى كمال مع وحيد الدين إلى المانيا
١٩١٨	—	تعيين مصطفى كمال في الحملة السورية
١٩١٩	١٥ مايو	احتلال اليونانيين لازمير
—	١٣ سبتمبر	مؤتمر سيواس



السنة	الشهر	الحادث
١٩٢٠	٢٨ يناير	اجتماع البرلمان في الاستانة
	١٦ مارس	احتلال الحلفاء للاستانة
	٢٣ ابريل	اجتماع المجلس الوطني الكبير في أنقره
	الخريف	القضاء على الأرمن
١٩٢١	١١ يناير	معركة إينونو
	١٠ يوليو	بدء الهجوم اليوناني الكبير
	١٢ أغسطس	معركة سقاريا
١٩٢٢	٢٦ أغسطس	الهزيمة الأخيرة لليونانيين
	١ نوفمبر	خلع السلطان
١٩٢٣	٢٤ يوليو	معاهدة لوزان
	١٣ أكتوبر	نقل العاصمة إلى أنقره
	٢٨ أكتوبر	اعلان الجمهورية في تركيا
١٩٢٤	٣ مارس	الغاء الخلافة
١٩٢٦	يوليو	مؤامرة ازميز لاغتيال مصطفى كمال
	الصيف	ابدال الطربوش بالقبعة
١٩٢٨	٣ نوفمبر	ابدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية



كتاب الشهر	دار الثقافة العامة شارع محمد علي ١٦٠ بالقاهرة	كتاب الشهر
مجلة نداء الحرية المجموعة الثانية	المحرر المسؤول: محمد صبيح ت ٤٥٩٩ هـ	٥ - العدد الأولي ١ - ١ - ١٩٤٥
المجموعة الثانية من كتب الشهر تصدر تباعا أول كل شهر		
مصانع فولرد قنال السويس الأسطول البريطاني الأزهر كبرج و كسفورد نهر النيل جزيرة التيس تركيا الهند المراق إيران الأفغان	الامام محمد عبده « صدر » المهدى كتشنر مصطفى كامل سعد زغلول الكنبي عبد القادر الجزائري محمد بن عبد الكريم	الملك فؤاد « صدر » الملك فيصل الملك حسين الرئيس عصمت أنونو تشرشل « صدر » روزفلت شياخ كاي شك « صدر » ستالين سمطس إبراهيم لنكلن جورج واشنطن نلسن الشي بن حارثة - أبو عبيدة بن الجراح - خالد بن الوليد - الحسين بن علي ... الخ
تمن الكتاب ٥٠ مليا		
ملتزموا العلم والشرائع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه		



كتاب الشهر

دار الثقافة العامة

كتاب الشهر

شارع محمد علي ١٦٠ بالقاهرة

٥ - العدد الأولي

المحرر المسئول: محمد صبيح

مجلة نداء الحرية

١ - ١٩٤٥

ت ٥٤٥٩٩

المجموعة الثانية

ما صدر من كتب الشهر

قادة الاسلام

قادة الشرق

في ٢٠ عدداً

١ - القرآن [٢٠٠ ملها]

٢ - محمد « ٤ أجزاء »

٣ - أبو بكر

٤ - عمر

٥ - علي في جزئين

٦ - خالد

٧ - عمرو بن العاص

٨ - معاوية

٩ - عمر بن عبد العزيز

١٠ - أبو مسلم الخراساني

١١ - المنصور

١٢ - الرشيد

١٣ - المأمون

١٤ - صلاح الدين الأيوبي

١ - الملك فؤاد

٢ - الملك ابن السعود

٣ - شاه إيران

٤ - محمد عبده

قادة الغرب

١ - تشرشل

٢ - ستالين

٣ - أتانورك

٤ - ديغاليرا

٥ - هتلر

٦ - الميكادو

٧ - موسوليني

٨ - شيانج كاي شيك

ثمان الكتاب ٦٠ ملها

ملتزم النشر اصحاب
قار لحيات الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه





PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

THE ABU SHADI
MEMORIAL LIBRARY

PRESENTED BY

CHARLES A. DANA, JR. '37
H. H. PRINCE SADRUDDIN AGA KHAN
COUNCIL ON ISLAMIC AFFAIRS



Princeton University Library



32101 084732559